

رَفَعَ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فارس الكلمة

التميم أبو الطيب

أمسيت أروح مثر خازنا ويدا أنا الغني، وأموالي المواعيد

دراسة

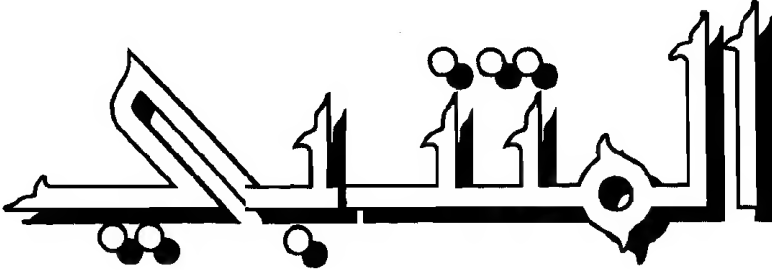
عبد المحسن بن علي المطلق

مكتبة
التوبة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فارس الكلمة



٣٠٣ - ٣٥٤ هـ

أمسيت أرواح مثر خازنا ويذا «أنا» الغني، وأموالي / المواعيد

دراسة للشاعر

عبد المحسن بن علي المطلق (*)

(الطبعة الثانية)

ح عبد المحسن بن علي المطلق، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطلق، عبد المحسن علي.

فارس الكلمة . المتنبي - عبد المحسن علي المطلق، الرياض، ١٤٢٥ هـ

١٥٦ ص : ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك : ٢ - ٦٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١- المتنبي، أحمد بن الحسين، ت ٣٥٤ هـ ٢- الشعر العربي -

نقد - العصر العباسي الثاني ١. العنوان

ديوي ٨١١,٥٠٩ ١٤٢٥ / ١٢٠٠

رقم الإيداع : ١٤٢٥/١٢٠٠

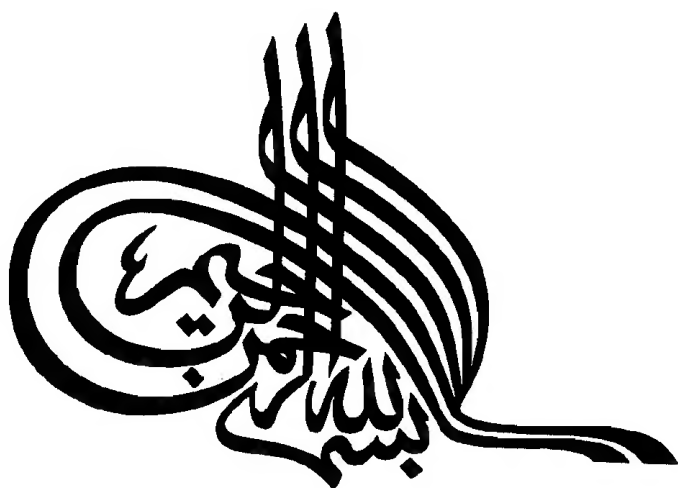
ردمك : ٢ - ٦٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ - فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ - ص. ب. ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

مكتبة
البوشر

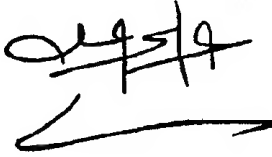


رفع
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إهداء متواضع لمقام:

إخواني... وأخواتي- الكرام-

حفظهم الله

A handwritten signature in black ink, featuring stylized Arabic calligraphy. It appears to be a personal name, possibly 'أحمد' (Ahmed), followed by a long horizontal flourish.

بداية

الحمد لله على آلائه الجمّة والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وعلى
آله الطيبين.. وصحبه..

(اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها
ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع،
ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها..)^(١)
..(اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا)^(٢)، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار
مصيرنا) آمين.

وبعد..

هذا "البسط":

أولاً: لا يحمل قرصاً أو دراسة أدبية لشعره، بل تحقيقاً جدياً يسير مع
خطوات الشاعر ونهجه، وتتبع لأبرز المراحل التي مرّ بها المتنبّي، وعن
ذاته وأحلامه وواقعه والأمني التي سعى خلفها، والمجد الذي بحث عنه.

(١) في الصحيحين.

(٢) ..فَنُشْغِلُ بِمَا خُلِقَ لَنَا - ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ سورة طه، آية ٥٠ -
عَمَّا خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ،.. كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة
الذاريات، آية ٥٦.

ثم.. النتيجة التي انتهى إليها هذا الفارس - ب دُرر اللفظ - والنهاية
المؤسفة التي تسبب بها هو..

تقضي على الإنسان آماله إن لم يُجاهد نفسه.. أولا
ف/ من المطالب والقتيل القاتل..!

فارسنا.. أبو الطيب "الآلام والآمال":

أين فضلي.. إذا قنعت من الدهر بعيشٍ مُعجَّل التنكيد
ضاق صدري، وطال في طلب الرزق قيامي، وقلّ عنه قعودي
أبدأ أقطع البلاد ونجمي في نحوس.. وهمّي في سعود

.. واقع لم يهتد - أو يركن - إلى تصديقه إلا بعد تجارب أخذت منه
زهرة الشباب وفُتوّته.. وحماس - أو اندفاع - منقطع النظير، انتهى به
إلى أن يقول:

كيف الرجاء من "الخطوب" تخلصاً .. من بعد ما أنشبن في محالبا
أوجدني..، ووجدن حزناً واحداً متاهياً.. فجعلنه لي صاحباً
.. ونصبني غرض الرّماة تصيبي محن أحد من السيوف مضارباً
أظمتني الدنيا فلما جئتها مُستسقياً.. مطّرت عليّ مصائباً!
وهذا - الموجز - نُثر إكراماً لعطائه..، لحائل - بُعد البين - عن إكرام
شخصه - فهو.. (كما قال) / كم حبيب لا عذر في اللوم فيه -

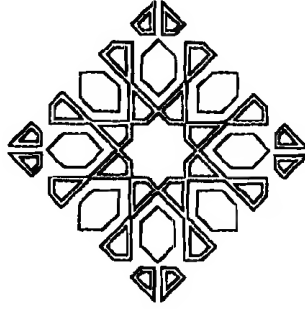
لنجاب .. قوله - أو رجاءه "الخفي":

ضاق بي ذرعاً من أن أضيق به زمانني.. واستكرمّني الكرام

ثانياً: لا يحتاج شاعرنا لمن يقدم عن شخصه أو شعره.. بـ الإفاضة من غيره عنه، أو إضافة - تجلية - على نتاجه.. الذي / ملأ الدنيا (ضجيجاً)، وشغل الناس (قريضا).

- المرء بعد الموت أحدوثة يفنى ، وتبقى آثاره -
ولذا.. فقد حرّرت عنهم بشواهد.. مما قيل حياله.^(١)
ولعل في ذلك ما يُغني.. عن التسطير ل.. الذي:
كان في نفسه الكبيرة في جـ — ش.. وفي كبرياء ذي سلطان

عبد المحسن بن علي المكي



(١) .. من أهل عصرنا..،

أما غيرهم.. فهذا مما يصعب الإتيان عليه.

"فواصل": (*)

(١) .. "لعل من أكثر الناس علماً بالشعر، ووقوفاً على مجاري القول فيه: من كان فيه مُعانة، ومعه تجارب، وهؤلاء هم الشعراء المتقدمون أنفسهم.

فقد أثرت عن أبي تمام و"المتنبي" وابن الزيات والحسن بن وهب وغيرهم من الحذاق... وصايا وتأملات تكشف عن بعد غورهم، وجميل تصرفهم، وصحيح نظرهم، وكمال معرفتهم..".

أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدكتور / محمد بن الحبيب خوجه.

(٢) ... يقول الأستاذ علي أدهم.. بعد ذكرٍ مُجملٍ عنه^(١):
"وأرجّح أن المتنبي أقرب شعراء العربية إلى التمثيل العام.. لعبقرية الشعر العربي..، ثم أضاف: ..ولذلك انعقد عليه "الإجماع"، وعمرت بذكره المجالس، وحفلت بأخباره السير، وبقي شعره على الرف"^(٢)
(٣) .. ولن/

من تلظي لموعه كاد يعمى كاد من شهرة اسمه.. لا يُسمّى
جاء من نفسه إليها وحيداً رامياً أصله غباراً.. ورسماً

(*) ... ك/ "مقدمة" بأقلامهم.

(١) العدد الخاص لمجلة (الهلal) .. عن ذكرى أبي الطيب. بمناسبة مرور ألف عام على وفاته -

(٢) - ويقصد بالرف: أي في المتناول القريب للاستشهاد.. منه.

حاملاً عمره بكفيه رَحْماً ناقشاً نهجه على القلب وشماً

(عبد الله البردوني - قصيدة: وردة من دم المتنبي).

(٤) .. "والحق.. أن المتنبي خيرُ شاعرٍ في القرن الرابع، نهض بأعباء التصنع الثقافي، إذ كان يوازن بينه وبين التعبير الفني، فلم يسقط عنده الشعر العربي بل استمر له كثير من الروعة^(١)..، غير أننا لا نتركه إلى معاصريه.. ومن جاءوا بعده حتى نجدهم يتخلفون عنه".

رئيس مجمع اللغة العربية بمصر / د. شوقي ضيف "الفن ومذاهبه" ص: ٣٥٠.

(٥) .. "لقد عاشرت المتنبي خمسين عاماً، فلم أجد شاعراً عربياً فحلاً تأثر بالجملة القرآنية لفظاً وصياغة وأسلوباً^(٢) مثله بين شعراء الإسلام، وأكاد أجزم بأن المتنبي خريج مدرسة الأشراف، ونهج علي. لم يتأثر شعرياً وفصاحة وتصويراً ببياناً، بكتاب ما، مثلما تأثر بالقرآن الكريم: فقد صقل لسانه بآياته، واستولى إعجازه على كل قواه العقلية، ومواهبه الفنية، وطموحاته السياسية، وانفعل انفعالاً وجدانياً وبلاغياً بروعة معانيه، وحسن قصصه، وبديع استعارته، وكل ذلك واضح أشد الوضوح في قصائده وأشعاره.."

أحمد بن محمد الشامي

كتابه/ المتنبي.. شاعر مكارم الأخلاق، ص ١٠٧-١٠٨.

(١) قال وزير المهدي: (خير الشعر: ما فهمته العامة، ورضيته الخاصة).

(٢) كقوله - والأمثلة في هذا كثيرة -:

ضاق بي ذرعاً من أن أضيق به زمانني.. واستكرموني الكرام
من قوله تعالى في ضيف الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿..وضاقت بهم ذراعاً﴾.

(٦) .. وكان الإمام محمد متولي الشعراوي رحمه الله يقول:
ليس ثمة من شعراء.. سوى الأحمدين "المتنبي" .. و"شوقي" ^(١).

(٧) . . .

كأن ما صغت من شعر.. روافده كالشمس نور من الإعجاز.. يرتسم
قل لي .. بربك .. هل نضدتها دررا في عالم الشعر.. لو لم يعسر الحلم
كم من ولاة مضوا والدهر أغفلهم وأنت في "الشعر" كم أثنى عليك فم
- من (رسالة إلى أبي الطيب) لـ (د. أسامة عبد الرحمن) -

(٨) ويقول د. عبد العزيز السنبل:

الشعراء/ مثل الأطعمة لكل مذاقه ونكهته.. ويظل "المتنبي" شيخهم.

(٩) .. "إن المتنبي شاعر خلّده التاريخ،.. وهو من القمم الشعرية والتي لا
يكاد أن يأتي .. مثله" ^(٢). - الشيخ عبد الله بن خميس "الجزيرة" عدد ٩٤٢٤ -

(١٠) "أبو الطيب المتنبي/ واحد من الشعراء المبدعين الذين استطاعوا أن
يجعلوا اللغة كائناً حياً يعيش معه الإنسان .. يُناجيه ويحاوره،
ويتفاعل معه، ثم أردف.. /

ولا خلاف عند المنصفين من علماء الأدب أنه لم يبلغ بعد المتنبي في
شعره من بلغ شأوه أو دانه، لأن المتنبي يمثل الشعر العربي في أزهى قوّته

^(١) وربما - من هذا - بالغ أحمد شوقي بشعره..

ولي درر الأخلاق في المدح والهوى وللمتنبي ذرّة ... وحصاة

^(٢) .. إلا ما شاء الله.

وفي نضجه الفني". - إبراهيم عبد الله السماري (الرياض عدد ١٠٤٩٠) -

(١١) .. "مما يميز شعر أبي الطيب المتنبي / امتزاج الألفاظ والمعاني بطريقة ميسرة تجعلك تتسائل: لم لا أكون أنا قائل هذا الشعر،^(١) والسابق إلى معناه.. وما ذلك إلا لمعرفة الشاعر بمعاناة النفس البشرية..، وصدق تعبيره عنها". - د. ظافر القرني - الجزيرة عدد ٨٩٤٥.

(١٢) قال الدكتور حسن ظاظا - رحمه الله -:
"... هناك من أبناء العرب الأشاوس من يفتحون نيران ألسنتهم وأقلامهم على من يفضل أيّ شاعر، بأية لغة كانت، على عمنا المتنبي!..".
(١٣) .. يوجز الشاعر (د. عبد السلام العجيلي) بـ:
"ما اجتمع أديبان.. إلا وكان المتنبي ثالثهما..".

(١٤) .. يحتل "المتنبي" عندي منزلة (الشاعر الأول) في تاريخ الشعر العربي كلّهُ. فأفكاره التي يُبدعها عقله، وصياغته المحكمة التي يسكب فيها هذه الأفكار المتميزة قلما يملك مثلهما شاعر آخر في عصره أو غير عصره..". - د. محمود جبر الربدادي -

(١٥) .. "حب المتنبي عندي من المعايير التي يُميز بها الناس، إنه شاعر مهمما قلت فيه.. فلن تستطيع أن تُنكر عليه أنه أخو إقدامٍ ونخوة وما شئت من

(١) وهذا ما يعبر عنه بـ "السهل الممتنع".

- .. وقد أبان عن البلاغة (ابن المقفع) بـ:

(إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسنها، فإذا أراد محاكاتها عجز عنها) ... -

أَرْحِيَّةً، ولن تجد حُباً لأبي الطيب إلا ولديه شيء من هذا.. قلّ أم كثر"
- الطيب صالح "الجملة ٧٠٢" -

(١٦) .. قال الجواهري - من روائعه -:

ولما استيأسوا من مستميت فلا أرضاً أراح ولا ضعافاً
أثاروا خلف رحلك عاديّات صباحاً تستفز الديدباناً
فكنت الحتف يدركهم عيلاً وأرباباً إذا استوفى وحناناً
(١٧) وقال الأستاذ/ عبد الفتاح أبو مدين - رئيس النادي الأدبي بجدة -:

شاعر الأمة العربية عبر تاريخها أبو الطيب المتنبي.

(١٨) .. وكتب منير البعلبكي - صاحب (المورد) - معرّفاً به:

(المتنبي أشهر شعراء العرب، فهم أسرار النفس البشرية وصاغ تجاربه
حكماً جرت مجرى الأمثال) معجم الأعلام (١٩٩٠م) قاموس المورد.

(١٩) قال عبد العزيز القاسم^(١):

بـ مملكة الشعر يوم الرهان نزلت، وقد جئت من لا مكان
فلا نسب لك عند الرواة ولا حسب في سجل الزمان
فكيف بلمسة قوس أزحت عن (العرش) كل أمير بيان

(٢٠) ختاماً: وجاء - حديثاً - في صحيفة الجزيرة (عدد ١٠٠٨٦):

(هو من أعظم أعلام الشعر إذ امتلأ شعره بالحكم والفلسفة، وخلف رصيلاً
ضخماً من الشعور الإنساني والحكم الإيجابية والسلبية - ولقد شرح ديوانه

(١) من قصيدة "إلى المتنبي" المنتدى/ عدد ١٩٩.

في زمانه خمسون ناقداً على رأسهم ابن جني، وشرحه بعد زمانه مئات الأدباء والباحثين^(١) ولا غرابة أن يحظى شعر المتنبي باهتمام الأدباء والنقاد في كل عصر وما زال الناس يكثرون الحديث عنه).

.. وهذه "الفواصل" ليست شهوداً بقدر ما هن استشهادٌ - حيٌّ - في حق ذا.. "الشاعر" / مالى الدنيا.. وشاغل الناس!:

.. ولعل فيما تقدم كافٍ.. و.. وافٍ، - ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق! -

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة^(٢) فما المجد إلا السيف والفتكة البكر^(٣)
.. وتركك في الدنيا دويلاً^(٤) كأنما تداول سمع المرء أغمله العشرُ

المؤلف

(١) انظر ما يأتي ص ١٥٤-١٥٥.

(٢) وقال غيره:

لا تحسب (المجد) تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى.. تلغ الصبرا

(٣) من قصيدة يمدح بها (علي بن أحمد الأنطاكي).

(٤) إذاً:

هو الموت، فاختر ما علا لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر

لماذا .. "المتنبي"؟..

بدءاً..

يجب أن نجاري - في هذا المضمار - الذائقة العامة لنصنف الشاعر، من خلال تواجد شعره، سواءً للاستشهاد من نظمه بكل عارض^(١)، أو للتطرب به والتغني منه والتمثيل له..

عندئذٍ يكون - هذا - الشاهد / الحي / والصادق.. لدعم هذا التقييم، بل والمُصادق عليه بتلقائية.. أو حتى بعفوية.

ولم يكن تمييزي لهذا الفحل من الشعراء - عاطفياً.. أو - عشوائياً!^(٢)

فيعلم الله أنني ما حسبت هذا الصدى البعيد الذي أوجده "شعره" في نفسي.^(٣)

(١) راجع.. - مثلاً - كتابي "ديوان البيان" لتجد أجلى دليل.. على شواهد الاستشهاد.

(٢) ويقول محمد كمال حلمي بك (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) عن المتنبي: كانت طريقته في التأليف أحبولة يتصيد بها المطلع على شعره فيكتسبه لنفسه، يورد عليه ما يعرف وما يحب وما يطلب، فمثله في ذلك كممثل التاجر الكيس يجتهد في أن يبيع الناس ما يريدون، فتحبب إليهم في هذا الباب إذا أعطاهم ما يشتهون لأنه في شعره ربما كان يعمل لنفسه ليرضيها فأرضى نفوسهم تبعاً.

(٣) ولست بدعاً في ذلك، أتى الواحدي - ت ٤٦٨هـ - صاحب الشرح المشهور، بعد قرن من وفاة الشاعر ليقول:

"إن الناس منذ عصر قديم قد ولّوا جميع الأشعار صفحة الإعراض، مقتصرين منها على شعر أبي الطيب، ناسين ما يروى.. لسواه."

ولما صنف أبو العلاء المعري كتاب اللامع للعزيزي في شرح شعر المتنبي وقرأ عليه أخذ...

قال الخطيئة:

وتعدلني أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذي علمت سعد
فقد قلبت وتقلبّت بين الشعراء ودواوينهم، فما وجدت - على الرغم
من قلة جُهدي بذلك - ما يصادف ذاتي، ويحرّك وجداني الداخلي قدر
"شعره"

يا شاعراً هزّ الفؤاد بنبضه فتحركت في داخلي الأوتار
..والذي رسم خطا "المجد" - ليصل إلى بؤرة الفؤاد، حتى حداني أن..
أتصرف بيته المعروف.. ب/

إن أكن معجباً.. فعجب عجب لم يجد فوق شعره من مزيد-
هذا هو الفارس "الضّال" عن ميدان الفروسية، والذي حملت نفسه
الاعتزاز والافتخار مع الضعة بالمجد الموروث، والاهتزاز بصحة النسب -
أو تواضعه-، إلا أنه لم يُقم لهذين العاملين /رغم مكانتهما/ وزناً ولو
على الأقل يوازيهما:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ..وبنفسي فخرت،.. لا بجوددي

...

الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء -وكان أعمى- رحم الله المتنبّي!! كأنما نظر إليّ بلحظ
الغيب حيث يقول:

كأنما نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
ومعروف مبتدا البيت.. ب: "أنا" الذي نظر الأعمى... إلخ.

أبو "مُحسّد" أحاطت به التجارب من كل جانب، وشغلته المعزّجات
الجلسام، وحطّمته الأحداث العظام^(١) ..

أذاقني زمّني بلوى شرقت^(٢) بها لو ذاقها غيري لبكى ما عاش وانتحبا
وُلد للنضال والتعالي .. الذي صحبه في مجريات حياته:

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
يُسابق سيفي منايا العباد إليهم كأنهما في رهان
ساجعله حكماً في النفوس ولو ناب عنه "لساني" كفاني
.. ونافح إثر مُبتغاه .. "الذي جلّ أن يُسمى" بعزيمة .. وثباتٍ كالجبال
الرواسي، حتى عبّر عن ذلك:

رمانِي الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء .. من نبالٍ
فصرت إذا أصابتنِي سهامٌ تكسرت النصال .. على النصالِ

(١) وعرّف به الأديب الشيخ (د. عائض القرني) - كتابه / وحي الذاكرة -:

هذا شاعرٌ عضّته الأزمان، ولسعته النكبات ومزّقت فؤاده الكوارث .. يسكت يسكت ثم
يزجر ناقماً على زمانه وإخوانه، يصمت يصمت ثم ينفجر صائحاً .. يشكو عصره،
ويلوم دهره. يهدأ يهدأ ثم يهبُّ من غفوته .. متمرداً رافضاً .. محتجاً ..!

(٢) أي: غصصت بها - قال ابن زيدون:

غاض العدا من تساقينا الهوى، فدعوا بأن نغصّ .. فقال الدهر: آمينا

"أبا الطيب":

صبغة أدبية منحك إياها المعطي بغير حساب - (سبحانه وتعالى)... -
فجابت بك طول الزمان بكل مكان،..!

- فسرت نوحك لا ألوي على أحدٍ آحث.. راحلتي: الفقر.. والأدبا -
فالحكم التي اعتصرتك التجارب لتزفرها لنا قريحتك أصبحت أمثالا
تُحتذى، ومعاني تُنتقى..، فلا حديث يخلو من شعرك "إلا ما شاء الله"،
ولا متدى يفيض بالكلم دون استشهاد من أترك "إلا ما شاء الله":

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري،.. ولا سمعت بسحري بابل
ويقول لسيف الدولة -.. كأنه يوازي بين شخص الأمير بالإمارة،
ونفسه بالشعر -:

إنّ هذا الشعر في الشعر ملك ..سار، فهو الشمس والدنيا فلك
عدل الرحمن فيه بيننا فقضى باللفظ لي، والحمد لك^(١)



(١) ...وانظر ما يأتي هامش (١) ص ٥٩.

و.. "العبقرية":

هل المتنبى عبقرى؟
للإجابة على هذا السؤال.. / أولاً يجدر بنا أن نعرّف بالعبقرية لنقيس
على ذلك بإذن الله..

ف: العبقرى^(١) يعنى: الحاد الذكاء.

وهي في أبسط إيضاح لها: (ترجمة الطاقات إلى إبداع وإنتاج فكري).

وحتى تولد العبقرية؟

إن.. الأحداث - كما نعرف - مرعى للتزاوج بين الإنتاج الفكري
والطاقات.

وهذا - أي التزاوج - فرصة لمن يملك التعبير عن هذه الأحداث
ليترجمها. مثلاً:

الخنساء "رضي الله عنها" وجدت الأحداث.. وفاة أخويها - وبخاصة صخر -

(١) وقد أخذ الاسم من وادٍ في الجزيرة العربية، يدعى (وادي عبقر)، يعتقد الجاهليون أن
الجن (*) يسكنه.

- (*) للفائدة / قال أبو عبد الرحمن بن عقيل: ورد في حديث حسن - على أقل تقدير -
أخرجه ابن أبي عاصم، أن الجن ثلاث أصناف: منهم من يطير في السماء، ومنهم من
يرحل ويفزع، ومنهم حيات وعقارب -

(والشيء بالشيء... يُذكر) - كما يقول "ابن نباتة المصري" -: فقد قيل أن شيطانه يدعى
"حارثة بن المعلّس".

..وهي طاقة^(١) "شعرية"، فمراثيها إنتاج فكري مُعَبَّر عن "الحدث" مقتل أخويها.
فالأحداث عند المتنبي: فساد السياسة والاقتصاد بزمانه، وتحول الإمارة
والخلافة "الفعلية" إلى أيدي الموالي والفرس والأتراك. بعد أن كانت
بأيدي "العرب".

..حدث أعظم/ وهو المجد والعُلا اللذان خاضا بالمتنبي أوعر الطرق..
حتى انتهيا به إلى سراب الواقع:

ماذا لقيت من الدنيا.. وأعجبه أني بما أنا شاكر منه محسود
..أمسيت أروح مُثْرٍ خازناً ويدا أنا الغني وأموالي "المواعيد"
.. والمتنبي طاقة شعرية لا يُستهان بها -البته- فواحدة من تلك الأحداث
جديرة بتفجير مكنون هذه الطاقة، فما البال وتلك الأحداث جرت على
من أعطاه "الوهاب" هذه "الملكة" التي ورثت للأدب "حكماً" وشواهد
ملحمية وتعبيراً عن الذات بلغ مُنتهى الرقي.

عبر عن ذلك ابن رشيق القيرواني "صاحب كتاب العمدة" بكلمة
مشهورة فيه: "ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس".^(٢)

(١) كقولها - إبداعاً:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وأذكره لكل غروب شمسٍ
- أي أذكره في أول النهار.. للغار، وفي آخره للضيفان -

(٢) "وطبيعي انه لم يشغل الناس على غير طائل..!" كما يُعَقِّب أنيس المقدسي -صاحب
(أمرأ الشعر العباسي) - على كلمة ابن رشيق..

ملأها فعلاً .. / فلم يحظَ شعرٌ عربي من الشهرة ما ناله "شعر المتنبي" ^(١)!
..فهو بعيد الأثر في حلقات الأدب، شائع بين جميع الطبقات، ليس
حظّه بعصره ^(٢) بأقل من حظّه اليوم..

وشغلهم.. / فلم ينل شاعرٌ من البحث.. والدراية.. والاقتضاء - عنه
وعن حياته وسيرته - كمثله. ^(٣)

إذاً العبقرية - باختصار - هي / الطاقة المترجمة للأحداث.

^(١) ..انظر لـ (طلّاع المراجع) ما بعد الفهرس.

^(٢) يُذكر أن صاحب ابن عباد - حين أبى المتنبي مدحه.. - قال:

لا يُسمعي أحدٌ شعر المتنبي إلا قتلتها!

ولما توفيت أخت صاحب.. أتته ستون رسالة "عزاء" مُصدّره بـ:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعته فيه بأمالى إلى الكذب
حتى إذا لم أجد من صدقه بدلاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
فسأل لمن - البيتين - ؟ ف قيل له لـ "المتنبي"، فقال هذا كالشمس انتشر فأنشدوا شعره.

و..روي أن رجلاً كان من شدة بغضه، يسأل عنه في كل بلد - يود الإقامة فيها-، حتى
سئل عنه في بلدٍ فقالوا لا نعرفه فأقام، وما إن ذهب لخطبة الجمعة، حتى سمع الإمام
يقول في الثناء على أسماء الله الحسنى:

أسماءٌ لم تزدنا فيه معرفة وإنما لـ لذة ذكرناها
والبيت للمتنبي في مدح (عضد الدولة)،.. فارتحل.

^(٣) قال عباس العقاد - رحمه الله-:

إذا وجدت الناس يختلفوا على شخص ما..، فهو دليل على مكانته، أو مآثره.
(وقال أيضاً/ - حين تكلم عن عبقرية علي رضي الله عنه - : من مؤشرات العبقرية
اختلاف الناس حولها).

وعلى ذلك يكون المتنبي ليس عبقرياً فقط...!، بل عبقرياً فذاً^(١). ولدت لنا منه هذه العبقرية: شاعراً حكيماً^(٢) وتحدر -إلينا- منها ميراث أدبي خالد^(٣).

... "مَنْ المطالب القليل القاتل"؟! ..

وهو مع هذا ك / لغز / أحرار من ترجم حياته، وتناول أدبه وشرح ديوانه.. لغزٌ أبقي للحيرة^(٤) مكاناً تتسلى به في عقول الأدباء،^(٥) وتلعب بعواطف الأفئدة بتقلب الأحداث!

(١) ومما قال الشاعر يحیی توفیق حسن - من مادته "الذات الشاعرة" - :

ثم جاء العبقرى المتنبي الذي سار مع طبعه وفطرته: فجاء شعره في أكثره مطبوعاً لا تكلف فيه إلا في القليل الذي اضطر إليه اضطراراً.

- وما اضطرَّ إليه (قصيدته) التي تسببت في مقتله، انظر ما يأتي ص ٤٥ هامش (٣) -

(٢) .. لما سُئل عن نفسه وأبي تمام والبحرّي؟

قال: أنا وأبو تمام حكيمان.. أما البحرّي فهو الشاعر

(٣) قال عمر فاحوري:

الشاعر "العبقرى" يتوجّه بـ/ شعره إلى جميع الأجيال، ويخاطب كل جيل بلسانه...، كاشفاً للجميع عن آفاق.. بعد آفاق.. - الفصول الأربعة ص ١٠١ -

(٤) هل قصد ذلك.. هنا السؤال؟!، قال (فردرك نيتشه):

يخطئ الشيء الغامض وغيرُ المفسّر.. بأهمية أكبر من التي يخطئ بها الشيء الواضح المفسّر!

- قال الشافعي رحمه الله:

أما ترى الأسد تُخشى، وهي صامتة والكلب يخشى وهو لعمري نباح -

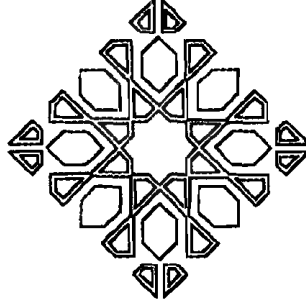
(٥) قال الجرجاني - صاحب الوساطة - :

".. ما زلت أرى أهل الأدب في أبي الطيب فثنين، من مُطنب في تقرّظه.. وعائب يروم

إزالته.. وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين

....

- وتركك في الدنيا دويماً كأنما تداول سمع المرء أثمُّه العشر^(١) -



...

تفريط المقصر، وإسراف المفرط،.. وقد جعل الله لكل شيء قدراً".

ويحضرني - هنا - قول (كورتو) في.. "لمحات في فن القيادة":

"هناك طريقتان للحياة: طريقة سلبية قائمة على رؤية مساوئ الرجال والأعمال، ترى الأخطاء ليس لإصلاحها بل لاستغلالها بشكل هدام والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة، وطريقة أخرى تنظر إلى الأمور بعين الرضا وتبحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها، وترحم ضعفهم وأخطاءهم وتعمل على صلاحها".

(١) يقول العكبري - أبي البقاء (ت ٦١٦ هـ) (*) - عن هذا البيت: الدوي: الصوت العظيم، يسمع من الريح، وحفيف الأشجار، والمعنى: يقول: اترك في الدنيا جلبة وصياحاً عظيماً.

- (*).. وقد فُتد العلامة (مصطفى جواد) - ت ١٩٦٩ م رحمه الله - صحة الشرح له، ونسبه إلى أبي عبد الله الحسين الأربلي (ت ٦٥٦ هـ)، كما أورد ذلك عبد الله الهدلق في بحث مطول... صحيفة (الرياض عدد/ ١٢٠٦٥) -

... فارس "الشعر"

- أو .. "واسطة عقد الدهر في صناعة الشعر" ^(١) -

طلبت "بالشعر" .. دون الشعر منزلة ^(٢) فشاء ربك أن لا تُدرك الطلب ^(٣)
إيه..، أخا الوفرة السوداء كم ملكٍ أعاضك "التاج" منها، لو به ^(٤) اعتصبا
أبو الطيب.. /

.. الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسمع أذن الدنيا شعره، وأسمى بالقريض
منزلته، ليلفت إلى مقامٍ .. تبوأه به "الشعر":
إن هذا الشعر ^(٥) في الشعر ملك سار فهو الشمس، .. والدنيا فلك
إذاً لن أتحدث عن المتنبى "الشاعر"، لأن ذلك قد يحتاج إلى ضعف أو
أضعاف هذا (الجهد..)، بل عن الإنسان .. والذاتية..

^(١) كما يقول الثعالبي - صاحب كتاب يتيمة الدهر -

وحقّ لشاعرنا هذا (الوصف) بل.. ولا أدلّ على ذلك مثلاً (والدلائل على ذلك.. كثيرة):

كأن الجفون على مقلتي ثيابٌ تُثَقِّقن على ثاكلٍ
- أو قوله:

ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب -
^(٢) أي: الإمارة.

^(٣) الأخطل الصغير.

^(٤) أي: بالشعر "الذي خلّفت"، وهذا مدلول قول الخليفة.. حين صلب الوزير "ابن
بقية" .. فرثاه "ابن الأنباري" بالمطلع المشهور:

علوّ في الحية وفي الممات كأنك أحد المعجزات
ب: يا ليتني أنا المصلوب، وقيل في هذه القصيدة... إلخ.
^(٥) يقصد شعره.

من "الطموح الشخصي" الذي ولع به، وجعله يسبح بالآفاق ويقطع
البيادر، ويعدو لبيداء.. دونها بيد..

هذا.. الذي كاد بمرات أن يجلب المنية لطرفه^(١):

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب.. والقَتِيلُ القاتِلُ
قبل أن تأتي على يد "فاتك الأسد" الذي ما حلم -مطلقاً- أن يشع
اسمه، أو يدون بالتاريخ.. لولا هذه الحادثة - التي كان ثمنها تغييب الرمز
الأدبي الذي:

كان من نفسه "الكبيرة" في جـ ش ومن كبريائه في سلطان^(٢).. -
.. فلا على "القريض" أن يُشيع جدثك والحسرات تزفر.. آهات..
وقد يموت كثيرٌ لا تُحسّهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا^(٣)
..أما (أنت) فلا أماري إن قلت فيك قصد (المعري) - عن ذاته -:
كأنني لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضاً بعباد
يكررنني.. ليفهمني رجال كما كررت معنى مستعبدا

(١) قال أبو الفتح البسيبي:

ألم ترَ أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك (دود القز) ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه
ف.. / أسأل الله للجميع الأمن والأمان والسلامة في الدين والأبدان.

(٢) أبو القاسم "مظفر بن علي الطبرسي".

(٣) أحمد شوقي يرثي "تروت بك".

"البينة":

.. لقد كان المناخ.. أو الفترة التي عاش فيها المتنبي^(١) ذات دويلات تشابه تنافرها بـ "إرثٍ" قُسّم، دون تحديد النصاب لكل وارث.. - كـ /
قسمة ضيزى -،

مما دعاه يقول..^(٢) لمدوحه الأوحده..^(٣) "سيف الدولة":
وسوى الروم خلف ظهرك روم^(٤) فانظر على أيّ جانبيك تميل؟
.. أي ليس عدو (دولة الإسلام) الروم من يُحتز منه، ... بل هناك من
لهم حيز الاحتراز في همك.. ومن قبلك.^(٥)

(١) منتصف العهد العباسي "الثاني". - النصف الأول من القرن الرابع الهجري -

(٢) بل وقال.. متألاً لحال هذا الفارس الذي لا يخرج من قتام.. إلا إلى قتام..

أنت طول الحياة للروم غازياً فمتى الوعد أن يكون القفول؟
نبراسه في ذلك - قول أحمد شوقي:

- دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم - (الحرب) أسُّ نظام الكون والأُمم

(٣) هذا إذا ما أردنا تصنيف مديحه -.. أو فرزه -

(٤) ..ويقصد بهم (آل بويه).

(٥) وهذا المقام ليس لعرض هذه "الوجهة"...

إذ يكفي تعبير الشاعر.. وإن كان بالغ كثيراً - عنهم - ب:

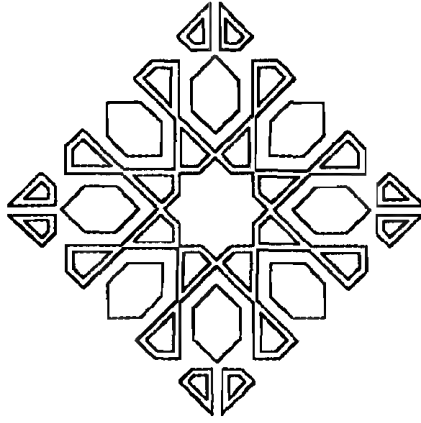
ودهراً ناسه ناسٌ صغارٌ وإن كانت لهم جثث ضخامٌ

ثم يقول - يعني نفسه -:

-...

- كما أبدع وصف حاله .. معهم:

وكيف يتمُّ بأسك في أناسٍ تصيهم فيؤلك المصابُ^(١) -



....-

وما أنا في العيش فيهم لكن
- وهذا من معنى .. كرره في سيف الدولة:
معدن الذهب الرغام
وإن تُفَق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال ١١ -
(١) .. حتى قال له - وبعد سنين من فراقه - يصف حاله:

أرى المسلمين مع المشركين
وأنت مع الله في جانب
إما لعجز، وإما رهب
قليل الرقاد كثير التعب
وأنك وحدك، وحدته
ودان البرية بابن وأب

"الإنسان":

في عام ٣٠٣ هـ كان مولد أحمد بن الحسين الجعدي الملقب بـ "المتنبى"،
و.../أبو الطيب: "مالئ الدنيا .. وشاغل الناس"...

وفي الكوفة .. بمحلة تُدعى "كينده"^(١) مكان الولادة والنشأة، ويكفي لما
لهذا المكان والتاريخ ما يكونان لهذا "الفتى" من طموح يرتقي به
-شاعراً- ليطلب (الإمارة) بهمة تزدرى كل هول^(٢)...

تزدري همّي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاوّل
.. وذلك في وقت كثرت فيه الدويلات والإمارات، وتعدد فيه
الأمراء..، فما من زاوية أو ركن بهذه الدولة - المترامية الأبعاد- إلا وبه
إمارة.. و-عليها- أمير!

ولم لا يطلب ذلك، ويحلم بمثل هذا الأمل..
إذا كان بنظره أن "كافوراً" - وهو مولى - بهذا "العزيز.. المنال".

(١) قال البغدادي - في خزانة الأدب (١/٣٨٢) :-

وهذه ترجمة المتنبى نقلتها من كتاب إيضاح الشكل لشعر المتنبى من تصانيف أبي القاسم
الأصفهاني.. حدثني ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبى كان بالكوفة في محلة تعرف
بكندة بها ثلاث آلاف بيت من بين رواء ونساج، واختلف إلى كتاب فيه أولاد
أشراف الكوفة، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً، فنشأ في خير حاضره،
وقال الشعر صبيّاً ثم وقع إلى خير بادية.. إلخ.

(٢) أو.. كما قال غيره:

إذا كنت ترجو كبار الأمور فأعدد لها همة أكبر

وبين تلاطم آمال هذا "العبقري"، وواقع.. كما وصفه هو:
ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
نتج عن تزواجه - هذا التلاطم - شاعر.. روي الدهر بـ "قريضه":
وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً، أصبح الدهر منشداً
وهذا "التزواج" جعل من أبي الطيب "الحكيم" في وصف الدنيا..
وتصادم المطاعم بها، يجول ويتخلل بحثاً عما يكتشفه.. ويُقدّمه لمقام
"ينال به مأربه ويحظى منه بمطلبه".

وقد أخطأ الوجهة.. بداية "حين ادّعى النبوة"^(١)!
.. ثم أدرك أن الفطانة^(٢) لا تزال بسواد الأمة، ليعود عن هذا، بعد أن
سجنه أبو لؤلؤة "أمير حمص" حتى استتابه.. وأتاب:^(٣)

(١) كما تذكره معظم الروايات، ولعل في "سفر المتنبّي" لمحمود محمد شاكر - ت ١٤١٨هـ -
(رحمه الله) - ص: ١٩٩ وما بعدها، ما يكشف "بصدق" عن زيف هذا الادعاء، وهذا
ما أصوبه من وجهة نظري المحدودة، - بالمناسبة، كتاب "سفر المتنبّي" - الذي أصدره
بمناسبة مرور ألف عام على وفاة الشاعر.. /وهو كتابٌ جدُّ نفيس، وقد حوى - بلا
مبالغة - جلّ "سيرة المتنبّي" الإنسان والشاعر..، وقد حاز مؤلفه عليه براءة جائزة
الملك فيصل العالمية للأدب العربي، في الدورة السابعة عام ١٤٠٤هـ -

(٢) ذكر ابن رشيّق في العمدة ص ٧٥، قوله: أنا أوّل من تنبأ بـ "الشعر" وادّعى النبوة في
بني الفصيص.

(٣) .. وقد لقي في سجنه.. ما لقي..، حتى قال - معترفاً -:

..دعوتك عند انقطاع الرجاء ... إلخ

...

إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت، فإني على يدك أتوب
وخرج من سجنه وقد علق به اسم "المتني" .. -مع كراهيته لذلك-

هل (النبوة..) شيء كنت تزعمه أم الوشاة.. أسأؤوا في الذي زعموا؟^(١)
وقد روى ابن جني - تلميذ المتني وشارح ديوانه - إذ قال: ^(٢)

(سمعت أبا الطيب يقول/ وإنما لُقيت بالمتني لقولي:

أنا تُرب الندى.. وربُّ القوافي وسِمام العدى وغيض الحسود
ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله - غريب كصالح في ثمود
فهو لم يتنبأ، وإنما خُلع عليه "اللقب" لتشبهه بالأنبياء في هذين البيتين
السابقين...)

وربما وُسِمَ بذلك لفطنته وحدة ذكائه ونبوغه في الشعر..

...

- ونذكر هذه الطرفة..

مرّ ابن أبي لؤلؤة.. على الشاعر، وقد أثر تكييل الحديد في السجن على قُسماته، فقال له:
﴿فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل﴾ .. -

وله - هنا - من الدعاء المأثور: (ربّ اغفر لي ذنوباً جرّاني عليها عفوك) ..،

قال أحمد شوقي:

إن جُلَّ ذنبي عن الغُفْران.. لي أملٌ في الله يجعلني في خير مُعْتَصِمٍ
وإن تقدّم ذو تقوى بصالحه قدّمت بين يديه عبْرَةَ النّدمِ

^(١) د. أسامة عبد الرحمن.

^(٢) يتيمة الدهر لـ "الثعالبي"، (١-٨٠).

- هو في شعره نبيٌّ ولكن ظهرت معجزاته في المعاني -
إلا أن أبا الطيب كان ذكياً حين يُسأل عن سبب التسمية؟ يجيب بقوله:
أخذ من النبوة^(١) "أي المرتفع"^(٢).

و.. قال أبو محمد النهشلي: إن أبا الطيب إنما سُمِّي "متنبياً"^(٣) لفطنته.
.. ولما سأله "ابن خالويه" في مجلس سيف الدولة في ذلك؟، أجاب:
لست أرضى أن أدعى بذلك! - أي تسمية "المتنبّي" - وإنما يدعوني به
من يُريد الغضَّ مني، .. ولستُ أقدرُ على المنع.

(١) وقال محمد الخولي - كتابه (الأدب النبوي) ص ١٥٥ :-
هي/ سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم..
ومعاشهم.

-.. ورد عنه صلى الله عليه وسلم، حين سمع قول طرفة بن العبد:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
قوله..: "هذا من كلام النبوة" -

النبوة في اللغة: من الإنباء أي الإخبار. قال تعالى: ﴿من أنبأك هذا فإني أعلم
الخبر * إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ سورة التحريم، آية ٣-٤.

و.. قال أبو تمام: السيف أصدق أنباء من الكتب
(٢) قال الحق سبحانه عن سيدنا "إدريس" عليه السلام: ﴿ورفعناه مكاناً
عليّاً﴾ "مريم، ٥٧". - وقد فسّر الحسن البصري رحمه الله: المكان ب: الجنة -
(٣) قال يلبوس - من قصيدته "ميرالادا.. وداعاً" -:

(ف: لنختل مرة.. بعد مرة فقد تعب القلب بحمل النبوة*)
(*) أي: من الترفع عن الرذائل.

"المادح": (١)

(١) أو الشاعر المدّاح.. كما يلقبه الأديب "عزيز ضياء" - رحمه الله -

.. وربما على ذا بنا الدكتور أسامة عبد الرحمن بيته في الشاعر:

أسرفت في المدح.. لم ترك شوارده إلا عقوداً.. على التيجان.. تنظم
وهي - أي مدائح - قد تكون أجمل من "العقود" فالذي يتبدّع لمدوحه به - مثل -:
وكيف يشتهه المخدوم والخدم
أو قوله:

وكيف يتم بأسك في أناس تصيهم فيؤلك المصاب
أو قوله على لسان من افتدى نفسه منه:
يُسَرِّبُ عِطَاكَ.. لا من جهالة ولكن مغنوماً نجاً منك غانم
أو مثلاً تطرّب السيوف - بزعمه - عند ذكر اسمه:

إذا نحن سميناك، خلنا سيوفنا من التيه في أغمارها تبسم
إلا أننا لن نغضّ الطرف عن بعض مبالغاته التي قد تُمَجّج من ذائقة المتلقي..، كقوله لـ
"شجاع بن محمد الطائي":

ولولا تولى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدت ومال بها الحلم
أو قوله في بدر بن عمار:

لو كان علمك بالإله مُقسّماً في الناس.. ما بعث الله رسولا
أو قوله في كافور:

عدوك مدموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
أو قوله - في أبي عبد الله بن سهل الأنطاكي -:

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا
أو انبهاره به شجاعة أميره سيف الدولة لينشأ ذا البيت:

ومستكبر.. لم يعرف الله ساعةً رأى سيفه في كفه فحشها
....

فاصلة - يقول د/ شوقي ضيف: (إن إنزال الشعر منزلة: "حرفة" تقوم بالمدح.. ولا تقوم بغيره تجزئةً يجلّ عنها، ويتبرأ الشعر منها.^(١))
إلا أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا إلا ليتغنّوا بمدحه^(٢)، ويتفنّوا بوصفه..
ذاهين فيه كل مذهب، آخذين منه بكل نصيب. وهذا الملك هو "الكون".

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى في وصف عباده أولي الألباب - بعد أن أسهب عن هذا الملكوت..:-

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ

....-

أور.. قوله فيه - أيضاً :-

ويستكبرون الدهر.. والدهر دونه ويستعظمون الموت.. والموت خادمه
-.. انظر ما يأتي ص ٤٧ هامش (٢) -

(١) .. ولذلك ..

قال صفي الدين الحلبي: "وكنّت عاهدت نفسي ألا أمدح كريماً، وإن جلّ، ولا أهجو لثيماً،
وإن ذلّ، وذلك للتزّه عن التشبه بنوي السؤال، والترفع عن التبع لمثالب الرجال".

(٢) كقول (البحري) .. يصف "دمشق":

أما "دمشق" فقد أبدت محاسنها وقد وفي لك مطريها بما وعدا
..إذا أردت ملأت العين من بلاد مستحسن.. وزمان يشبه البلاد
فليس تبصر إلا واكفاً خضلاً أو ياتعاً خضراً.. أو طائراً غردا

النار^(١)، فهو ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾^(٢)، فسبحان من أودع فيما أبدع خصائص كآيات تدل على الخالق^(٣):
﴿إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾^(٤)

وقد ذكر "الجاحظ" في (البيان) .. قول أحد الخطباء:

"أشهد أن السموات والأرض آياتٌ دالّاتٌ وشواهد قائمت، كلٌّ يؤدّي عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجليت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسها من وحشة الفكر، ورجم الظنون. فهي على اعترافها لك، وافتقارها إليك، شاهدةٌ بأنك لا تحيط بك الصفات، ولا تحدك الأوهام، وأنّ حظّ الفكر فيك، الاعتراف لك".

.. ثم بدأ يتكسّب بـ "الشعر"^(٥) عسى أن يجمع المال .. ليلغيه المراد،^(٦) إذ:

(١) سورة آل عمران، آية ١٩٠ - ١٩١.

(٢) سورة طه، آية ٥٠.

(٣) .. وصدق القائل:

تأقّل سطور الكائنات .. فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

(٤) سورة طه، آية ١٤.

(٥) .. قال عباس العقاد "لا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيدة في مدح عظيم

يعجب به، ويؤمن بمناقبه ..!

لكن الخلاف - كما يراه - في نوع المديح .. لا موضوعه"

(٦) أي الإمارة.

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله^(١) ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
 .. فبدأ^(٢) بمدح "علي بن الطائي" التي منها:
 ألا كل سمح غيرك اليوم باطل وكل مديح في سواك مُضَيِّعُ
 ومدح "علي بن إبراهيم التنوخي"^(٣) بـ:
 أتينااه نطالبه برفد^(٤) فطالب نفسه منه بدين
 وبين تنقله على أمصار الشام.. يجد بـ (طَبْرِيّا) الفارس العربي "بدر بن عمار بن
 اسماعيل"^(٥) فَيُغْنِي لسانه.. لا بتسام الزمان "بلقائه":

(١) .. قال الجاحظ: "إن من فقد المال قلّت الرغبة إليه، والرغبة منه..، ومن لم يكن
 بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به..".

قال الشاعر.. بإيضاح:

يمشي الفقير.. وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
 .. وترى الكلاب إذا رأتَه عبت به، وكشّرت أنيابها

(٢) من هنا البدء بسرّد يحمل عن إجمال - أو أبرز محطات - سيرته.

(٣) وكان قد رثى ابن عمه "محمد بن اسحق التنوخي" بقصيدة هي من عيون الرثاء ..

منها يخاطب إخوان الفقيد:

صبراً بني إسحاق عنه تكراً إن العظيم على العظيم صبور
 فلكل مفجوع سواكم مُشَبَّه ولكل مفقود.. سواه نظير
 (٤) أي/ عطاء.

(٥) هذا البطل الذي نازل الليث بسوط.. فمرغه بالتراب.. لينطق "شاعرنا" الأسد:

تلف الذي اتخذ الجراءة خلّة .. وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً
 مشيراً بفرار الأسد الذي قبله..، لأنه فرّ من "الممدوح" قبل هذا أسد آخر.

أعيداً نرى أم زماناً جديداً؟ أم الخلق بشخصك حياً أعيداً؟^(١)
ثم يمدح قاضي أنطاكية "أبو العشائر"^(٢) بـ:

أفعاله نسب.. لو لم يقل معها جَلَدِي الخَصِيبُ.. عرفنا العرق في الغُصْنِ
.. وبعد هذا.. يقضي "شاعر الدنيا" تسع سنين^(٣) مع الفارس المغوار

(١) حتى استطاع حسّاد الشاعر كـ "ابن كروّس" أن يقلب ميل الأمير على شاعرنا..
فأوعز إلى الأمير.. بهذا البيت:

إذا صديق أنكرت جانبـه لم تعيـني في فراقـه... الخـيـلُ
- وهنا.. سؤال: هل المتنبّي كما نقرؤه في شعره؟، أم أن شعره (صوره) لـ المثالية التي يتمناها؟
.. وهل أبياته وخاصة "الذاتية" تمثّله، أو تعكس شخصيته؟

مثلاً "وفاء" الذي نظّر لهذه الخلّة د. طه حسين - مع المتنبّي ص ٣٠٥ -:
فهو - كما يقول عنه - لم يُجرب تجربة حاسمة.. سوى في علاقته مع بدر بن عمار وأمير
حلب وأبي العشائر وكافور، وقد كسب الأولين من الشاعر صدق ذلك في ذاته..،
فمثلاً: حين توترت العلاقة بينهما، ولقي الأذى من حاشيته.. لم يزد على تركه من
غير هجاء - وهو دليل على أن وفاء قوي حتى غلب الغضب المأثور عنه..

(٢) وإن كان قد مدحه - أبي العشائر - بمطلع جميل وصوره تعبيرية بالغة، إلا أنها مبالغة مُسفة:
النـاس لم يـروك أشـباه والدهـر لفظـاً.. وأنت معناه
..ولا تقبل قصداً..، إن قُبلت فناً.

وهو بالمناسبة: الذي عرّف خيما بعد - بممدوح الشاعر (سيف الدولة الحمداني).
(٣) يقول "جورج غريب" إن هذه الأعوام "التسعة" أخصب (*) أعوام المتنبّي من حيث
كثرة الشعر، ومن حيث تنوعه.. ولو لم يكن المتنبّي مع سيف الدولة بهذا الشكل..
لفقد فن المدح استقلاله، (المتنبّي دراسة عامة، باختصار ص ٧٠).

- (*) ويُذكر/ أن قصائده في الأمير الحمداني تربو على نيف وثمانين قصيدة -

القائد والأديب الأمير الحمداني سيف الدولة "أبو الحسن/ علي بن عبد الله بن حمدان" (١) :

(١) ذكر ابن خلكان في "وفيات الأعيان": (.. كان سيف الدولة ملكاً على حلب انتزعها من يد (أحمد بن سعيد الكلابي) سنة ٣٣٣هـ، وكان أديباً شاعراً مجيداً محباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز له، قيل لم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد الخلفاء.. ما اجتمع بيبابه من الشعراء، وله معهم أخبار كثيرة، ولد ٣٠٣هـ - عام مولد المتنبي - وتوفي بعده ٣٥٦هـ بعد مقتل المتنبي بسنتين).

وجاء في يتيمة الدهر - ج ١ ص ١٥٠.. وما بعدها -:

(كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم. وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها (وتنزع لباسها) وتفل أنيابها، وتذل صعابها، وتكفي الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار، وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبله الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط بيباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع بيبابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، و"إنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها" (*) وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول:

ذهب الدين تهزههم مداحهم هز الكمأة عوالي المران
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملاً ريحية منهم بمكان
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب، وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت، كقول
-...

كلما رحّبت بنا الروض.. قلنا "حلب" مقصدنا، وأنت السبيلُ
 لديك مرعى جادنا والمطايا وإليها وجيفنا.. والذميل^(١)
 - والذي/ لا الحلم جاد به ولا بمثاله^(٢).. -

وقال في هذه (الفترة) مدائح خلّدت اسم الأمير^(٣) أبد الدهر: ^(٤)

...

أبي الطيب المتنبي:

خليلي، إنني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد
 - ^(*) وهي كلمة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله -

^(١) الوجيف: عدو الخيل، والذميل: ضرب من سير الإبل.

^(٢) ويحمل - هذا العجز - مُبالغة كبيرة، دافعها - إضافة إلى الحب الشخصي له - أفعال
 هذا الفارس الأمير.. في وقائعه مع الروم، ومن قبل شجاعته البكر في مطلع
 العشرينات من عمره، دفع شاعرنا - وقد كان مغموراً - ليعجب به ويحب فروسيته:

وإذا امتحنت تكشف عزماته عن أوحدي انفض والإبرام
 وإذا سألت بنانه عن نيله لم يرض بالدنيا قضاء ذمام
 مهلاً ألا لله ما صنع القنا في عمرو حابس وضبة الأغنام
 لما تحكمت الأسنة فيهم جارت وهن يجرن في الأحكام
 فتركهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤوسهم على الأجسام

^(٣).. كما قال الشاعر في قصيدة يمدحه بها.. لما استبطأ مدحه:

وعندي لك الشُرْدُ^(*) السَّائِرا تْ لَا يَخْتَصُّنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا
 قَوَافٍ إِذَا مِـرْنَ عَنْ مَقَوِّي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا

- ^(*) شرداً: لأنها لا تستقر على موضع، أي: تسير بها الركبان في الآفاق.. بمدحك،

وهذا ما جعل (د. شوقي ضيف) يُثري عنها بـ/ ومدائحه لسيف الدولة تُعدُّ في

الذروة لا من شعره وحده، بل من الشعر العربي عامة، فقد صور فيها وقائعه وحروبه

...

تصويراً تشيع فيه البهجة بالنصر والاعتزاز بالعرب والعروبة - كتابه (الفن ومذاهبه)،
ص ٣٠٦-

(٤) قال أبو اسحاق الغزي:

لولا أبي الطيب الكندي ما امتلأت مسامع الناس من مدح ابن حمدان
ولذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. أنه سأل أبناء (هرم بن
سنان) ممدوح "زهير بن أبي سلمى": ماذا أعطيتم زهيراً؟ فقالوا: مدحنا فأعطيناه..
فقال رضي الله عنه: لقد ذهب ما أعطيتموه.. وبقي ما أعطاكم،.. ويكفي زهيراً -
مما أثنى به مدحاً لهرم بن سنان - قوله:

تراه إذا ما جتته .. متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
- وقيل في مدح/ حصن بن حذيفة الفزاري -

... وقد اتفق الشعراء في مجلس عبد الملك بن مروان.. أنه أبلغ بيت بالمدح.

ولعل مما قصده البارودي في تعريضه لمادة "الشعر":

أبقى زهير به ما شاءه هرم من الفخار حديثاً جَدَّ ماثور
وأذكر هنا - استرسالاً - بقول (د. حسن فتح الباب).. وذلك عندما تحدث عن شعراء
الحماسة.. ثم تطرق للمديح: "...ويكفي أن يُستشهد لذلك بقصائد أبي الطيب في
سيف الدولة، فهي لا تصوّر هذا البطل بذاته فقط.. بل إنها تصور مناقب الفروسية
العربية من خلال البطل النموذج.

وأضاف:

وتعد هذه القصائد ومثيلاتها وثائق فنية يرجع إليها المؤرخون والباحثون في خصائص
الأمة العربية، والعلماء الباحثون في سمات النفس العربية.

وقال أيضاً/

وكلها - أي تلكم القصائد - تتضمن لوحات فنية لا تُنسى.. في تصوير المعارك،
-...

ما الدهر عندك إلا روضةً أنفٌ يا من شمائله في دهره زهرٌ
 ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ فلا انتهى لك في أعوامه عمرٌ
 .. فإن حظك من تكرارها شرفٌ وحظّ غيرك منها الشيب.. والكبرُ
 إذ كان المتنبّي يُحبه.. ويخلص له، ويخصّه بمقت^(١) خالصة..
 وقيدت نفسي في ذراكا محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيداً^(٢)
 - قال (ابن نباتة المصري).. موضحاً:

...

وصراع المحاررين، وبطولة الفرسان المسلمين... إلخ.

باختصار من - المجلة العربية ٥ / ١٤١٨ هـ

.. وعد للإفاضة - أيها القارئ - إلى كتابه "المقاومة والبطولة في الشعر العربي"، ص ٩٢ وما بعدها.

ولهذا قال "العقاد" - موجزاً -:

(إن المديح من أفضل المقاييس.. لقياس حال الأمة.. والشاعر.. والأدب..، في وقتٍ واحد).

^(١) المقتة/ المحبة الشديدة.. ولا أدلُّ على ذلك.. من قوله - حين عوفي الأمير مما ألمَّ به -:

المجدُّ عوفي... إذا عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الأئمُّ
 ولا نعجب أن نجده.. وهو يُعاتبه لا يدع مدحه/

يا "أعدل الناس".. إلا في معاملتي فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم
 .. ويروى أن سيف الدولة.. حين وصل لمسامعه قول أبي الطيب في عضد الدولة:

وقد رأيت الملووك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها
 قال أترأه أدخلنا في هذه "الجملة".

^(٢) - البيت من قول الأزل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فلطالما قيد الإحسان إنسانا -

ولا عيب فيه.. غير أنني قصده فأنستني الأيام أهلاً وموطناً -
.. بعد أن وجد به ما يُشبع غروره.. وفي مبتغى ذاته:

أبصرت بداراً لا يرى (البدن) مثله وخاطبت بحراً لا يرى العبر عائمه
.. غضبت له، لما رأيت صفاته بلا واصف^(١).. والشعر تهذي طماطمه
حتى أنه بالغ جداً.. بمدح ذا الأمير "ابن أبي الهيجاء"^(٢):

بالجيش تمتع السادات كلهم والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع
يمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تُنشئ ما تأتي وتبتدع^(٣)
.. من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع
وكيف لا يكون لهذا الأمير "الأديب" واصف.. وقد ازدحم بابه الأدباء
والشعراء،^(٤) إنما هذا ما لم يُقِيمه لهم، أو يُقِيمه.. ببال شاعرنا.

(١) حتى قال فيه..

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل -
يقول (العكبري) عن هذا البيت: المعنى: يريد أن المملوح لغرابة أفعاله، وانفراده في جميع
أحواله، وما يتابعه من كثرة وقائعه، ويخلده من جليل مكارمه، وظفره في جميع مقاصده،
يحمل الزمان من ذلك ما لا يطيقه، ويكلفه ما لا يعهده، فيضيق عن فخامة قدره، ويقصر
عن جلالة مجده، وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه، ويسير فيها من جموعه،
فقد ملأ الزمان بمكارمه ومجده، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه -

(٢) سمة أبيه.. الذي لُقّب بذلك - لبطولاته وصولاته في ميادين الوغى -

(٣) .. يوضح صدر البيت، قول أحمد شوقي:

مما الناس إلا أولي يمضي.. فيخلفه الأخير

والألم أنشأ - بكل ثقة -:

أجزني إذا أنشدت شعراً.. فأعنا بشعري أتاك المادحون مُردّداً
.. ثم إلى "كافور" ^(١) - ب (مصر)، .. بعد أن أحسن الحُساد التفريق بين
الأمير والشاعر ^(٢)، و.. بعدما فاض به الكيلُ..

...

^(٤) كأبي فراس الحمداني ^(*) القاتل في حب الأمير ابن عمه - بكل ما أوتي من جودة السبك -..
ليتك تخلصو، والحياة مريرة وليتك ترضى... والأنام غضاب
وليت الذي يبني وبينك عامراً ويبني.. وبين العالمين خراب
إذا صَحَّ منك الودّ فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
وابن خلكان - صاحب (وفيات الأعيان) - وابن خالويه - ت ٣٧٠هـ - وغيرهم كثير.
- ^(*) هو الحارث بن سعيد بن حمدان، ولد بالموصل سنة ٣٢٠هـ، ونشأ يتيماً فكفله
سيف الدولة فشبَّ على الكرم والشجاعة، وقد توفي عام ٣٥٧هـ - حين حاول
الثورة على أبي المعالي ابن سيف الدولة فتغلب الجند عليه وقتلوه - بالعام الذي توفي
فيه سيف الدولة -.. وهو صاحب:

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم (وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر)
^(١) "كان (كافور) مولى لقومٍ من أهل مصر يُعرفون ببني عباس، وكَلَّمَ أبو بكر محمد بن
طنج - حاكم مصر - صاحبه في بيعه، فوهبه له فأقام على وظيفة الخدمة، ولما تُوفي
سيده أبو بكر وكان ابنه صغيراً، قام كافور بتفردِه بالخدمة له، ثم قرَّب من شاء
وأبعد من شاء، حتى إذا ما كبر الغلام وبدأ يُنفَس عن شيء في مكنونه سقاه سماً
فمات..، ثم انفرد بالحكم".

- باختصار "جواهر المتنبي" ص ٢٠١ عبد الله عمر خياط -

^(٢) وإن بليت محب مثل وذكم لإنني بفراق مثله قمن
-.. قمن: أي حدير -

لقيت المرور والشناخيب دونه وجبت هجيراً يترك الماء صاديا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواديا
ولم يذهب لهذا "المولى" ^(١) إلا رغبة بنيل الحكم "الإمارة"... ^(٢)
بعد أن داهم السبات ذاك الحلم في حلب، وكيف لا يفيق ذو المنى..
بعدهما اكتنز من المال ما يكفي.. وأخذ من الشهرة ما يفي، حتى ولو
كان نيل الحلم من هذا "المولى" ^(٣) - إذ..

(١) كما قال عن ذا محمود سامي البارودي:

لولا أبي الطيب المأثور منطقته ما سار في الدهر يوماً ذكر "كافور"

(٢) قال ابن رشيق - العمدة ص ٤٥، ج ١:

(..) وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة - أي الولاية - من كافور الإخشيدي، فوعده
بها(*) - أجابته إليها - ثم خافه لما رأى من تحامله.. وكبره، واقتضاه أبو الطيب
مراراً، ومن اقتضائه.. قوله:

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تُط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني، وشغلك يسلب
ثم صرّح بعد ذلك..:

وفي النفس حاجات وفيك فطنة سكوتي بيان عندها وخطاب..
- (*) وكان كافور قد وعده بولاية (صيدا).. كما جاء في: الصبح المنبي (١/١١٥) -

(٣) قال أحد الفلاسفة: "إذا احتاج الرجل إلى كسرة خبز ولم يظفر بها، فإنه يُقدّم
تنازلات كثيرة..!".

حتى ليقول:

ولست أبالي بعد إدراكي الغلى أكان تُراثاً ما تناولت أم كسباً
-...

..... (لا بدّ دون الشهد من إبر النحل)

كما يقرر هو من قبل! -

فبدأ يستعطف "كافور" ويتزلف إليه...، وهذه أوّل ترجّ:

إذا كسب الناس المعالي بـ "الندى"^(١) فإنك تُعطي في نداك المعالي
و.. يستحثّه.. بأدب:

وغير كثير أن يزورك راجلٌ ويتقرب إليه^(٢) بالحب الشخصي:

أنت الحبيب، ولكني أعود به من أن أكون محباً غير محبوب
.. ومن باب آخر:

ومثلك من كان الوسيط فؤاده فكلّمه عني ولم أتكلّم
- مع ثمن^(٤)..

...

ألم يقل - شاعرنا -: "و..الجوع يُرضي الأسود بالجيف!"
(١) أي: العطاء.

(٢) من معنى قول "الخطيئة" في (علقمة بن علانة) - وهو يرثيه - وكان الشاعر أمّ
نحوه.. فوجده قد مات -:

وما كان يبني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل
(٣) .. قال البحري (زاجراً):

مالنا نعبّد العباد، إذا كـ —————
ان إلى الله فقرنا وغنانا
(٤) وقد قال فيه.. من قبل - واصفاً مقامه -:

عند الهمام أبي المسك الذي غرقت في جوده مضرّ الحمراء واليمن
.....

أودّ من الأيام ما لا تودّه وأشكو لنا بيننا وهي جُده -
.. ثم يطلقها صراحة:

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
ولكن ذا "الكافور" أريجة، و"الذكاء" روحاً.. لم تنطلِ عليه مدهنة^(١)
الشاعر^(٢) ليبلّغه.. مأمّله.

- فهذا .. ومثله سدت يا (كا فور)، واقتدت كل صعب القياد -
ولما أدرك الشاعر.. "ذا" وأيس منه، خلّص.. مع نفسه نجياً..،
- قال أحد الشعراء:

وعدتني وعداً وقربته تقريب من يثني بإنجاز
حتى إذا قلت انقضت حاجتي رميت بي من جرف مواز^(٣) -

...

- أي: مَنْ عمّ جوده العرب كلهم -

^(١) "يُروى أن بشار بن برد مدح المهدي فلم يُعطه شيئاً، ف قيل له: إنه لم يستعذب
شعرك يا أبا معاذ؟.. فقال بشار:

والله لقد قلت فيه قصيدة لو أثنى بها أحدٌ على الدهر، ما خشي صروفه، ولكننا كذبنا فيه
القول، فكذب أملنا فيه".

^(٢) ..وهو يدرك.. مراد الشاعر.. حين استفتح أوّل قصيدة أمامه بهذه الآلام المبتوثة من

ذات تتحرّق - و..دون فطنة أن (لكل مقام مقال) كما يقول الخطيئة -:

كفا بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن آمانيّا
^(٣) أو كما.. قال "عبيد الأشجعي":

وعدت.. وكان الخلف منك مجية مواعيد (عرقوب) أخاه يثرب

فسكب على "المولى الإخشيدي" أقذع الهجاء: (١)

سادة كل الناس من نفوسهم وسادة المسلمين ألا عبد .. القزم (٢)
ثم رحل عنه .. خلصة بليلة ليس بها قمر (٣)، بعد أن تأسف على ما ضيع
عنده من ترج، وما أبلاه من تزلف .. لعل ..!
لكن .. / إن الثناء على التبال .. (تبال) (٤) - .. كما يُقرر! (٥) -

(١) وكأنه يردد في صده - قولاً .. لحافظ إبراهيم -:

رجوتك مرة وعبت أخرى فلا أجدي الرجاء ولا العتاب
ألم يقل ..

وشعر مدحت به (الكركد ن) بين القريض وبين الرقي
أي "يرقيه" - أو يسحره - .. ثم يقول في البيت التالي:
فما كان ذلك مدحاً له ولكنه كان هجو الوري
أي: إذا كان هذا السيد - المولى .. الكركدن .. الد .. لديكم، فما يكون الرعية: إذا
ذلك المدح هو هجو لمن خلفه .. من علية القوم الذين حوله.

(٢) .. وما أجهل الاعتذار الذي مهّده د. غازي القصيبي للذائقة العارفة:

"كل ما نقوله عن كافور من ذم .. ينصرف إلى كافور المتنبئ .. وإليه وحده!، أما كافور
الحقيقي .. فمكانه الحقيقي محفوظ في التاريخ الحقيقي". المجلة العربية، عدد ٢٦٢،
- وانظر ما يأتي ص ٨٨ .. وما بعدها -

(٣) مشمراً عن عضديه:

لتعلم مصر .. ومن بالعراق ومن بالعواصم .. أني الفتى
لكن - الذي يظهر - أن كافور لم يجد في طلبه

(٤) ولماذا .. هذا الاعتراف .. المتأخر ..، يا أبا محسد؟! - .. معنى (تبال): القصير -

...

- قال ابن الرومي:

كل امرئ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه.. فقد أساء هجاءه^(١) -
وأمّ للكوفة "أطلاله"^(٢) عائداً، وهو يردد - مع امرئ القيس -:
وقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(٣)

...

بل ولم يبقَ له.. - بعد أن خاب ما ترجّاه فيه أمله..، وانقطعت عن بلوغ المنى.. سُبُلُه -
سوى الاستشهاد بقول ابن الرومي:

"مدحتكم طمعاً فيما أوّمله فلم أنل غير حظّ الإثم والنصب
إن لم تكن صلة منكم لذي أدب فأجرة الخط أو كفارة الكذب"
وتجد تلميحاً جميلاً في العجز الثاني: الاعتراف بالكذب.. عمدته!

^(٤) بل كان من الحق أن يستشهد.. بقول ابن هاني:

لست المعلوم.. أنا المعلوم لأنني أنزلت آمالي بغير الخالق
^(١).. قال "العسكري":

مادحك بما ليس فيك.. إنما يستهزئ بك!!

و.. قال عبد الملك بن مروان - لرجل ودّ أن يُسرَّ له -: لا تمدحني!.. فأنا أعلم بنفسني
منك.

^(٢) كما يقول أبو تمام:

و.. كم منزل يآلفه الفتى وحنينه الدائم لأول منزل
- ف:

بلادي.. وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي.. وإن ضنّوا عليّ كرام -
^(٣).. وهذا مما عبّر عنه سلفه (رهين الحبسين) المعري بقوله:

جريت دهري، وأهليه.. فلم ترك لي التجارب في ودّ امرئ غرضاً

.. فراسله ابن العميد^(١) الملقب "بالجاحظ الثاني" وزير ركن الدولة..
فمدحه أبو الطيب:

بأبي وأمي ناطق في لفظه ثمنُ تَباع به القلوب وتُشترى
ثم ودّعه، بعدما أتاه كتاب "عضد الدولة" بفارس، يسأله المسير إليه،..
ويدخل "شاعرنا" بلاد (فارس).. فيرى الحُسْن وجمال الطبيعة يخلب
اللب!.. ليصف نفسه^(٢) - ابن الفياضي والقفار - بين أفياء هذه "المغاني":

.. ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة.. لو سار فيها سليمان^(٣).. لسار بترجمان
إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغاني القيّان
يقول بـ "شعب بوان" حصاني: أعن هذا.. يُسار إلى الطعان؟

(١) قال عنه الثعالبي في كتابه "يتيمة الدهر":

(كان يقال بدأت الكتابة بعبد الحميد، وانتهت بابن العميد).

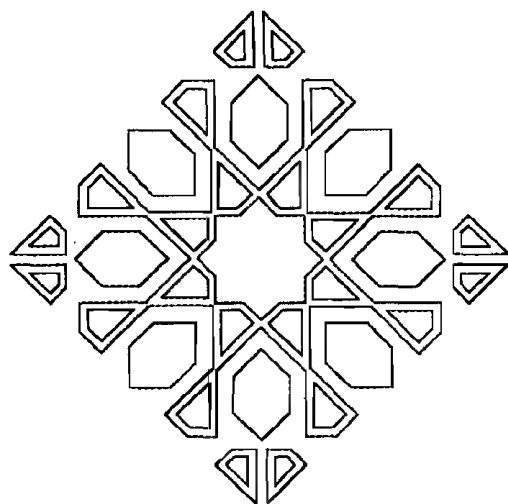
(٢) .. من قصيدة يمدح بها عضد الدولة.. وولديه، مطلعها:

مغاني (الشَّعب) طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان
.. وقد أثرى (العكبري) في شرح هذا البيت: مغاني: واحدها: مغني، وهو المكان الذي
فيه أهله، والربيع: الزمان الطيب، وهو الفصل الذي بعد فصل الشتاء، تخرج فيه
الأزهار، وتورق الأشجار، والمعنى: يقول: مغاني الشعب - وهو شعب بوان، وهو
موضع كثير الشجر والمياه، يعدّ من جنات الدنيا، كنهز بالابلة، وسفد سمرقند، وغوطة
دمشق - طيبة في المغاني. بمنزلة الربيع من الزمان، فهي تفوق سائر الأماكن طيباً، كما
يفوق الربيع سائر الأزمنة -

(٣) سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - الذي علّم منطق الطير.

.. ثم يجيب على حصانه بالتفاتةٍ إلى عضد الدولة "أبي شجاع" مادحاً:

فقلت إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد.. وذا المكانِ
فإن الناس والدنيا طريق إلى من ماله في الناس ثان



" الخاتمة .."

.. ويُختم لصاحب الـ [٥٦٢٣] بيتاً - بما جناه على نفسه -:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه .. فمن المطالب والقتيل القاتل
فبعد وداعه لعضد الدولة - معتذراً له بشوق العودة إلى أهله^(١) -، خرج
من "شيراز" عائداً إلى الكوفة..^(٢) اعترضه "فاتك الأسدي" في جماعة
معه وقتله هو وابنه مُحسّد ومفلح غلامه..

- إذ كان المتنبّي هجا ابن أخت فاتك "ضبة"...^(٣) -:

(١) تُرى هل حس الشاعر بقرب الرحيل.. وهو ينشئ لعضد الدولة هذا البيت:

أروح وقد ختمت على فؤادي بأن يحلّ به سواكا
(٢) وذلك في مطلع شهر شعبان ٣٥٤هـ.

(٣) وهو (ضبة بن يزيد العيني..)

والسبب/ جاء في ديوان المتنبّي هامش (١) ص ٢٠٤ - قيل:

اجتاز أبو الطيب بـ "ضبة" فامتنع عنه بحصن له، وكان يجاهر بشتمه وشتّم من معه،
وأرادوا أن يُجيبوه بألفاظه القبيحة، وسألوا ذلك أبا الطيب، فتكلفه لهم.. على
كراهية منه.. منها:

إغنا قلت.. ما قل... ست رحمة به.. لا محبة

ثم يلتفت للمهجو:

يا قاتلاً كل ضيف
فناء صفيح وغلبة
وخوف كل رفيق..
أبـاتك الليل جنبه
..ومـن يُـالي بـدم
إذا تعدّود كسبه
إن أوحشـتك المعالي
فإنهـا دار غربة
-...

(ما أنصف القوم ضبّة وأقسه الطرّبة)
 وذلك في "دير العاقول" - النعمانية - في الشمال الغربي من سواد بغداد
 قبل عيد الفطر ٣٥٤هـ... لِتَغْلِقَ^(١) صحاف ذا الذي:
 كان من نفسه الكبيرة في جيـ ش ، ومن كبريائه.. في سُلطان^(٢)
 فكان المأمّل.. (الحفرة) التي رمت بهذا الفارس إلى هاوية كانت ملاذ
 النفس "المبتغى":

ومن يك قلبٌ كقلبي له يشقّ إلى العزّ قلب التّوى

...
 أو أنسـتـك المخـازي فإنـها لك نسـبة
 .. وإن جهلت مُرادِي فإنـه بـك أشـبه
 .. وهكذا يتضح للقارئ أنها - كما قيل - من أردأ شعره.

^(١) قيل كثيراً عن سبب مقتله.. ، إلا أن هذه القصيدة هي المتكأ.. ، والله أعلم..
 .. كم في المقابر من قتيـل لسانه^(*) كانت تهاب لقاءه الشجعان
 و/

كم من حروفٍ تجرّ الحروف ومن ناطقٍ وذو لو أن سكت ا
 أيضاً:

كم حديث يظنّـه المرء نفعاً وبه - لو درى - يكون البلاء
 - (*) احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغَنك.. فإنـه ثعبان -

^(٢) لأبي القاسم/ المظفر علي الطّبيسي - يرثيه - وجاء منها:

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان
 ما رأى الناس ثاني المتبي أيّ ثـانٍ يرى بـكر الزمان
 كان من نفسه الكبيرة في جيـ ش، ومن كبريائه.. في سلطان

وكبت الجموح..، ليتوقف ذلك السيل الهادر - من جبل - ..وبين دفتيه
عزم دفعه إلى سلك الوعر من الطريق، حتى ليقول مستأسداً:

..... أمات الموت.. أم ذعر الذعر؟!
... رغم طوله - أي الطريق - و..بُعد مرماء، الذي للأسف /كان/ سراباً
يصله إلى سراب..

ولم يخطئ لأنه سلك طريق المجد -أو- "المطلوب"
بل أن تركيبته النفسية وحدة في الطبع^(١).. قد تكونا أعاقاه عن بلوغ
"المرام".

ولكن لا يجب أن تكون تلك "عيوب" لأن مقابل تلك العيوب.. ميزات
أوصلت بهذا الحكيم إلى أعلى المراتب.. - مقامه شعرياً -^(٢) وشيء يدرأ

(١) -..انظر ما يأتي ص ١٢١ ..وما بعدها -

(٢) مع التسليم بتقرير من سبق.. في نقد هذا "النسق" .. قال ابن سلام وأبو عبيدة:

".. وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر.. إلا وجدت مطعناً" -الأغاني ج ٢، ص ٤٦-

.. وراجع ما أنكره العلماء من شعره -مثلاً- في كتاب (الوساطة) لـ أبي الحسن
الجرجاني، ص ٣٢٩-٣٦١.

.. وعلق أحدهم على هذا "البيت"

ففي ألف جزء من رأيه في زمانه أقبل جزئى بعضه الراي أجمع
أنه.. ركب من التقديم والتأخير والحذف والإيهام.. مالا يُباح مثله، في أساليب الكلام
..واقراً - إن شئت - تعقيده:

لو لم تكن من ذا الورى الذي منك هو عقلت بمولد نسلها... حواء
-...

شيء^(١) .. - ف:

..من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط -
بل وهذه - النهاية - هي شرك (الوهم) الذي داعب أحلامه:
تحتقر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاوّل
ولهذا الذي خلفه تلك النفس الأبية التي بين جوانحه.. كانت دافعاً لهذا الطلب:
ومن يبغ ما أبغي من المجد والعلوّ تساوى المحايا عنده والمقاتل..
حتى أزفر عن صدره..^(٢) وكأنه يلمس.. ويتحسس قرب الرحيل /ب/
.. بعد إدراكٍ متأخّر.. أن:

...

(لا تعليق...!!)

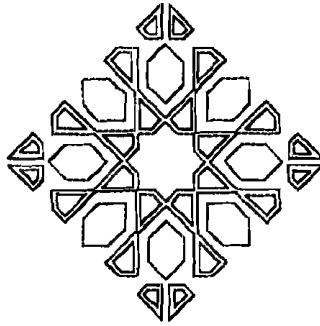
إذ ليس فيما أنشأ "هنا" ما قصده أبو سعيد القرشي - في أرجوزته (فن الضرائر) -:
وربما تصادف الضرورة بعض لغات العرب المشهورة
بل حتى أنه لم يسلم.. من أقل من ذلك - راجع ما قيل في كلمة (مسيطر) -أي: ممتد-
وهو يرثي أم سيف الدولة، حيث علّق على سوء اختياره هذا.. كثيراً.
وهذا يذكرنا بإنكار عبد الملك بن مروان على شاعره - ذا النظم اللين - (جرير) بلفظة
(بوزع).

ومع هذا يظل (عيب الكبير.. كبير) كما قال جمال الدين الأفغاني للسلطان العثماني -
^(١).. ف:

أقل ذا (الود) عثرته، وقفه على سنن الطريق المستقيمة
ولا.. تسرع بمعبدة إليه فقد يهفو ونيتيه سليمة
^(٢) فلا جديد في إنشائه.. حين يقول عن "دهره":
وهان .. فما أبالي بالرزايا .. لأنني ما انتفعت بأن أبالي؟

وقت يضيع، .. وعمر ليت مُدَّتَه في غير أُمته من سالف الأمم!!
.. أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرَّهم.. وأتيناها على الهرم^(١)
.. وذلك بعدما أفنى جلَّ حياته خلف منى.. حال عن بلوغها - مع كبر
ذاته - ظروف عصره.. وقلَّب حوادثه.

قال أبو الفتح بن جني - راثياً -:
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بغدريّ دوحه الأدب
ولنستعير له من رثائه للتوخي:
كفل الثناء^(٢).. له، بردَ حياته في رقة لما انثنى .. فكأنه منشور



(١) .. وهذا - البيت - يحمل بعض نقض.. مما أنشأ شاعرنا - بعد -:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا فعناهم من أمره .. ما عانا
(٢) .. على شعره.

"الإبداع": (١)

(١) قال د. عبده زايد: "الإبداع" (*) الأدبي.. كالإبداع في أي فن من الفنون، تقف وراءه موهبة لا بد منها.. لكل مُبدع.."

- كتاب (خصوصية الإبداع في الشعر الإسلامي المعاصر) د. سعد الدبل ص ٢٣ -
..وفي التفاتة للشيخ "الأديب" علي الطنطاوي - رحمه الله -، تنبيه جميل في مثل هذا البيت -
لشاعرنا -.. حين قال: وقفت وما في الموت شكّ لواقف

إن المتنبّي لو وقف هنا.. ولم يُكمل.. لما استطاع أحد "غيره" الإكمال - رحمه الله -
ثم أتم: بـ "كأنك في جفن الردى وهو نائم".

- (*) .. وإذا تكلمنا (ملياً) عن الإبداع، نقول: من المعلوم أن السجع موطنه "النثر" - وعلى هذا
اشتهر - وخذ ممن أعطي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم إذ قال: (ألا أخبركم
بشراكم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: من أكل وحده ومنع رفده، وضرب عبده).
و..مثلاً/ قال أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مُعرِّفاً التقوى:
(العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل.. والاستعداد ليوم الرحيل).

لكن تنظر لعطاء شاعرنا - وهو ممن أوتي ناصية البيان - فتجده ينظم بسجع بديع.. يقلّ
مثله:

فنحن في جذل، والروم في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ، والبحر في خجل
- قال علي السنوسي.. يثني على الملك عبد العزيز:

ها نحن في عصره (الزاهي) على دعة وصفو عيش رغيد.. ما به كدر:
فالدار عامرة.. والسحب ماطرة والأرض زاهرة.. والدين مُتشرّـ
ومنه - أي السجع - ما يسمى بالترصيع، كقول أبي صخر الهذلي:

سود ذوائبها، بيض ترائبها محض ضرائبها،.. صيغت على الكرم
ثم نقول: ما أحلاه إذا كان على البديهة، وبلا تصنع.

وما الدهر إلا من رُواة قصائدي .. إذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشداً^(١)
لا أجد - مع قلة الاطلاع - كجميل إيجاز الأديب عبد الله خياط^(٢):
" .. أي شاعر من مطلع التاريخ .. وحتى يأتي أمر الله ويُنفخ في الصور ..
إنما يهّمه من كل ما يقول وينشئ من الشعر: ^(٣)
أن يحفظ له الناس قصيدة، أو بضعة أبيات، أو حتى بيتاً واحداً^(٤) ..
ولقد حفظ الناس - كل الناس على مختلف مستوياتهم واختلاف
عصورهم - الكثير من روائع المتنبي ..

^(١) وصف عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - جمال البيان بـ "السحر الحلال" ..
وأخذ أبو تمام هذه الكلمة فأدخلها .. في وصف شعره - مع عدم إغفال مبالغته في البيت الثاني -:
فأين قصائد لي فيك تَأبَى وتَأْنَف أن أُنسَن وأن أزالا
هي (السحر الحلال) لمُجْتَنِيهِ ولم أرَ قبلها سحراً حلالا
.. ولأبي تمام/ استرسالاً - وهذا من الإبداع أيضاً - : اتفق مرة أن اعترض أحد الأدباء
على الاستعارة في قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبتُ ماء بكائي
وأرسل خادمه يقول: إن مولاي يرجوك أن تملأ هذه الكأس من ماء الملام!، فقال حبيب:
قل لمولاك يتفضل أولاً بإرسال ريشة من جناح الذل.

^(٢) من كتابه "جواهر المتنبي" ص ٣١٧، باختصار.

^(٣) قال أبو الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - "قيمة كل امرئ ما يُحسن".

^(٤) وصدق الله العظيم حين أغوى إبليس أبانا آدم بالشجرة .. في الجنة، بإحدى ميزتين
يعمل المرء لئيلهما "شجرة الخلد" أو "ملك لا يلى" - كما في سورة طه،
الآية ١٢٠ -

....

يشهد له .. بذلك: كثرة استعاراتهم واستشهاداتهم، وفي مختلف المواقف والمناسبات بما أبدع".

.. فدع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي..^(١) والآخر الصدى...
أجمع سواد أهل الأدب أنه لم يبلغ "في الشعر" كشأته!
- ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري،.. ولا سمعت بسحري بابل-
إذ/ ذاع من شعره "الحكم" التي علقت على الألسن بالوقائع والمناسبات، وإنك لتعجب.. حين تسمع من أحد "النشء" بيته المشهور:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
أو حين تسمع من أحد "العامة":
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

...

قال السيد أبو الحسن:

واعلم أن الجمد شيء مخلد
وأن الفتى والمال.. غير مخلد
^(١) .. ولما لا يكون؟ .. وهو ينظم:

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
مضى قبل أن تُلقَى عليه الجوازم
أو..

سقاك وحيانا بك الله إنما
على العيس نوراً، والحدور كماتمه
قفي.. تغرم الأولى.. من اللحظ مهجتي
بثانية.. والتلف الشيء غارمه..
أو..

وخصر تثبت الأبصار فيه
كأن عليه من حديق نطاقا
أو..

أزورهم وسواد الليل يشفع لي
وأنثني، .. وبياض الصبح يغري بي

أو حين تسمع من أحد "العباقره":
وإذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام^(١)
أو حين تسمع من "مغترّب":
شرّ البلاد مكان لا صديق بها
وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم^(٢)
أو حين تسمع من "باسق الذات":
أعزّ مكان في الدنا سرجّ سابع
وخير جليس في الزمان كتاب
أو حين تسمع لـ "هائم":
وقنعت باللقيا وأول نظرة
إن القليل من الحبيب كثير
واسترسالاً/ إن أبا الطيب لم يلتفت إلى "الغزل"^(٣) وإلا ما ظننت أن "ابن
أبي ربيعة"^(٤) تسمو غزلياته.. أمام هذا الحكيم "القائل" - مُحذراً.. من
الغرام وسُبله -:

(١) وقد روي بـ "الأحلام" .. أي العقول بدلاً من الأجسام.

(٢) وبالمناسبة/ لا تخلو معظم قصائده من الحكيم وشكوى الزمان "كما يقول":

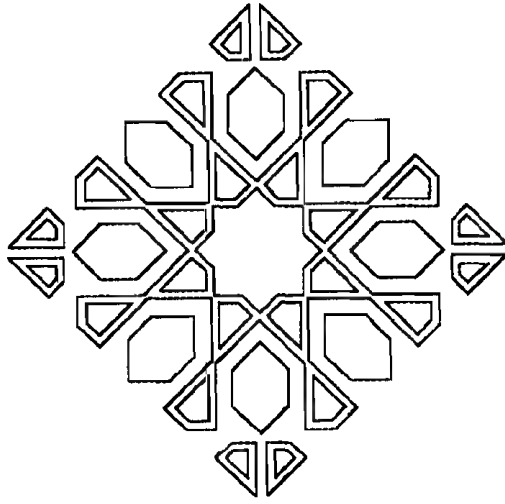
ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً فلا أشتكى فيها ولا أتعجب
علّق الأديب علي العيسى على مراد مطلع مثل هذا البيت بـ:
كانت العرب تقول (ليت شعري) أي: تمنوا أن يسعفهم الشعر في التعبير عن اقتضاء
الحاجة.. إلخ.

(٣) انظر ما يأتي ص ٦٩ وما بعدها.

(٤) - القائل:

وقديماً كان عهدِي .. وفُتُونِي.. بالنساء -

فمن شاء فليَنظر إليّ فمَنظري نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
وهاهو يجمع المعاني: نصيبك في حياتك من حبيب
نصيبك في منامك من خيال



و.. " القصيدة " :

لا يشذّ - أبو الطيب - عن القاعدة العريضة "من الشعراء" بإنشاء
القصيدة.. فمن "الأطلال" :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت.. وهن منك أو أهل
و..:

أثلاث.. فإننا أيها الطلل نبكي.. وترزم تحتنا الإبل
إلى "الصبا.. وربوعه..":

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت همامي قبل وقت همامي
أو ".. الحبيبة":

هام الفؤاد بأعرايية سكنت.. بيتاً من القلب لم تمتد له طيباً
ثم.. "النفس": (١)

(١) وذلك عن "حاله" وقت النظم.

".. قيل له - لما مدح ابن العميد.. ب هذا المطلع

بادِ هواك.. صبرت أم لم تصبرا وبُكاك.. إن لم يجرِ دمعك.. أو جرى
... كم غرّ صبرك.. وابتسامك صاحباً لما رآه، وفي الحشا.. ما لا يرى ! -

ما أسرع ما تغيرت؟، فقال: هذه حال..، وتلكم حال !! "

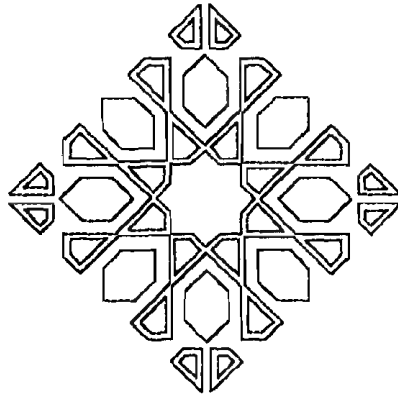
وقياساً على هذه "الحال" .. تجده - مثلاً - يقول،

لا تلقى دهرَكَ إلا غير مكرث إلخ...

ثم ينظم - في وضع.. آخر - :

والهم يخزّم الجسيم نحافة إلخ...

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمر منير
ف .. متن "القصيدة" - الموضوع - ثم "الختم" ..، وهذا في المُجمل
- عدا المراثي أو الهجاء.. أو بعض قصائد المعارك مع سيف الدولة.^(١) -



^(١) مثلاً "على قدر أهل العزم تأتي العزائم".

بالمناسبة: هذا المطلع "المنظوم" حكمة.. ومنطق وتجربة واسعة.. يُستأنف إلى الفهم المباشر دون غموض.. ولا إبهام، إذ هو حديث العارف.. الشارح.

ف "النموذج":

نظم "المتنبى" قد يكون - وخاصة في حالات الصفاء والانفراج - من أعذب^(١) الشعر وأجمله..، راجع مثلاً:

كم قتيل كما قتلت شهيداً بياض الطلى.. وورد الحدود
أو..:

أعيداً نرى، أم زماناً جديداً .. أم الخلق بشخصك حيّاً أعيدا
أو..:

أيدري الدمع أي دمٍ.. أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا
أو..:

من الجأذر في زيّ الأعاريب همر الخلى والمطايا.. والجلابيب
أو..:

مغاني "الشعب" طيباً في المغاني بمنزلة "الربيع" من الزمان
.. والعكس - حين تهيج نفسه، وتولّعه أشجانه، .. أو تعود ذكرى
مآسيه - "وخاصة في رثاء جدته":

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذمّاً فما بطشها جهلاً.. ولا كفّها حلماً
وعد - أيها القارئ - ل:

لا افتخار إلا لمن لا يضام

^(١) وقد فنّد الرواة - النقاد - القول المشهور / المنسوب / لـ الشاعر الأموي جرير أن:
(أعذب الشعر أكذبه).

أو.. /أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
أو.. / فؤاد ما تسليه المدام^(١)
أو.. / أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
أو.. / واحر قلباه .. ممن قلبه شيم^(٢)
أو.. / بما التعلل!، لا أهل.. ولا وطن
أو "الحمى"^(٣) / ملومكما يجل عن الملام
أو.. / أماتكم قبل موتكم الجهل!
أو.. / صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
أو.. / عيد بأية حال عُدت يا عيد!^(٤)

(١) أي: الخمر.

(٢) شيم: أي بارد... وهي في عتاب أمير حلب "سيف الدولة".

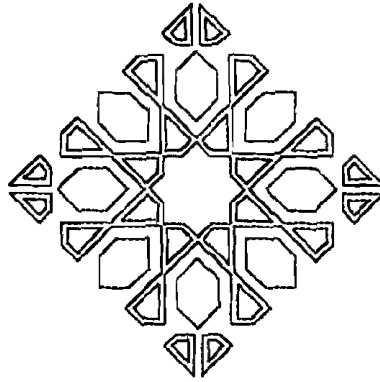
(٣) .. جاء في الحديث عنها .. - إذا أصابت المؤمن في ليلة - قوله صلى الله عليه وسلم :
(ذاك نصيب المؤمن من النار) .

(٤) وأذكر لأدينا (د. حسن الهويل) نثر لا يخلو من تعجّب في قراءته لمطلع هذه القصيدة
حين قال: أحرق أبو الطيب أوراق المتفائلين بالمناسبات السعيدة.. - يعني باستفهامه هذا-
- وقال حمد الحجي.. موازياً للمقال، ومواسياً للحال:

عيد الغريب مِقَامٌ وانبعث أسمى ودমে - إن شدا الشادون.. - تغريد ا
.. ونظم على رويها (د. نذير العظمة):
عيد مضى ومضى من بعده العيد لا الكرم كرم ولا العنقود عنقود
.. فكيف لا تطلع الأزهار في فنن وفوقه تُذرف الدمع.. المواعيد
جار الزمان على عودي فقصفه وكان من قبل أيكاً وهو أملود

لتكتشف ما.. لدى هذا "الشاعر" من خزائن الدرّ، وودائع الجواهر.. بما يفيض به عبير: "نظمه"!

إذ.. حين تصافح "ديوانه" ليأخذ لبابك سبكه للكلمات واستخراجه للمعاني وبراعته التصويرية، وحُسن تمثيله، وبديع طباقه، ورقّة ألفاظه، وجميل البناء لديه، ونشوة في التعبير.. إلخ،^(١) كل هذا مما يتخلل أبيات قصيده..



(١) كقوله.. لأبي العشائر -.. مُعرّضاً الفرق بين مدحه، ومدح غيره:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس	س، ولكن كالشمس في الإشراق
(شاعر المجد) خدنه شاعر اللف	ظ، كلانا رب المعاني الدقاق
لم تزل تسمع المديح.. ولكن	صهـ ل الجياد غير النهاق

"الأطلال"

غني عن الأوطان.. لا يستخفي
إلى بلد سافرت عنه إياب .. أو - أيضاً:-

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
.. لم يقف المتنبي على الأطلال ليكي "على ماضٍ تولى"؟^(١)..
بل من قبيل التذكر^(٢) - لا الحنين والتمني بعودته - :

لا تحسبوا ربكم ولا تطلبه
أول حي فراقكم قتله
كأنني بهذا الفارس المغوار، قائلاً:
لا تلقَ دهرك إلا غير مكرث
ما دام يصحب فيه روحك البدن
يدفع نفسه دفعاً إلى "الرمي" المراد..

(١) ..أر كما قال أبو نواس:

عاج (الشقي) على الرسم يسأله ..!

بل واستفهامه هذا..، أوضح:

مالي بدار خلت من أهلها شغل^(*)
ولا شجاني لها شخص.. ولا طلل
ولكنه.. يقول - ناقضاً -:

يا خليلي ساعة لا ترمها
وعلى ذي صابرة فأقيمها
ما مَرَرْنَا بدار زينب إلا
فضح الحب مَرَرْنَا المكتوما
-^(*) ومعنى صدر البيت من قول الناظم:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيسا.. إلخ-

جوادي، وهل تشجي الجياد المعاهد؟

^(٢) مروت على دار الحبيب فحممحت

فالتغني بتلك الأطلال.. لا يُعيرها المتنبي أكثر من ذكرها فحسب! ..
لأنها - فقط .. - :

منازل خالت السرور بها ^(١)

إلا أن المُطَّلِع على ديوان شاعرنا يجد شيئاً من ترديد المعاهد والربوع...،
وإطلالتها في بعض مطالع قصائده كقوله:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت.. وهن منك أواهل
وقوله أيضاً:

فدينك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
- بل.. وكيف جلبت "تلك المراتع" الموت قبل مواعده:

ذكر الصبا ومراتع الآرام ^(٢) جلبت حمامي قبل وقت حمامي ^(٣) -
ومجارات عينيه.. لتلكم أئين دليل:

أجاب دمعي.. وما الداعي سوى طلل دعى فليت قبل الركب والإبل
ظلمت بين أصحابي أكفكفه فظل يسفح بين العذر.. والعذل

^(١) محمد بن عثيمين.

- وقال الآخر:

ما بكينا على "زرود".. ولك - ما بكينا على أيامنا في زرود
^(٢) .. جمع (ريم) صغير الغزال.

^(٣) قيل أنها في مدح سيف الدولة "قبل لقائهما" بـ ١٦ سنة وكان المتنبي يبلغ العشرين من سنه.

- انظر ما تقدم هامش (٢) ص ٣٣ -

إلا أن هذا لا ينفي مُطلقاً ما أسلفت.

.. فالإنسان بطبعه حب الماضي لأنه يعني الطفولة -الصفاء.. والنقاء..-
والذكريات، والأكثر من ذلك فراراً من (الواقع) -بخاصة إن كان مُراً-
.. وقد يكون ما يعنيه شاعرنا من تلكم:

وما شرقي بالماء إلا تذكراً لماء به أهل الحبيب نُزول^(١)
أو السرور الذي "يرى" أنه لم يدركه من الزمان:
أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرّهم.. وأتيناها على الهرم!^(٢)
قد يكون إيضاحي غير وافٍ، لكن ما سنجده عند الشاعر في
(الرسوم..، ومراتع الآرام) هو:

الخيال البعيد، وذلك الماضي.. الـ(كان)^(٣) -فحسب-!
لأنه تغرّب لا مستعظماً غير نفسه.. ولهدف - سام - .. كَنّا به:

^(١) إذا فهذا السبب.. - كما بيني له المرقش الأكبر -:

فقلوا لها ليس الظلال أجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم.. عمداً
إنما (عبد الله بن الدمينه) يقول - مبيناً -:

ولكن قرب الدار ليس بنافع إن كان من تهواه ليس بلذي ود
^(٢) .. وإذا كان عهده "هرم الزمان"، فما نقول نحن.. بـ"زماننا"؟. قال فواز اللعبون

- بيني على هذا الإنشاء -:

أتيتم زمان المجد وهو أخو صبا وجتناه كهلاً.. قد حنى دوننا ظهرا
^(٣) قال عنه - معبراً - إيليا أبو ماضي:

بحيرة "الحب" حياك الحياة فلکم كانت میاهك بالنجوى تُخينا

ما ابتغي جلّ أن يُسمى

وقد تكون أطلاله على قافية قوله:

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكى فيها ولا أتعب؟..
بمعنى: إن كان هناك "هم" حضر.. وحاصر شاعرنا في وقتها عتب
(الزمان) الذي لم يُبلغه مراده، وإلا أن لم يحضره تهيمه.. وجد همّاً آخر
- قد يكون:

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب فكل بعيد اهمّ فيها مُعذّب-
.. حتى الجواد.. لا ينسى ماضينا بذي الطلال!

مررت على دار الحبيب فحممت جوادي، وهل تشجي الجياد المعاهد؟
وهكذا "يُكيّنا" على الرّسم القديم، والصبا الذي خالطه منّا.. وأقام:
(أيام تحريرنا بدارٍ آتلة أعودانا..)

بكت عيني "اليمنى"، فلما زجرتها عن الجهل - بعد الحلم - أسبلتا معا^(١)
فأطلاله/ بها من دقة التصوير ما يُصيّرك كأنك.. أمام ربوعك أنت،
وقام "هو" ليتحدث بلسانك - ما حال عنه ضعف عبيرك -:
لك يا منازل في القلوب منازل^(٢)

^(١) السعدي الشيرازي.. بالمناسبة قال ذلك ارتجالاً في وداع صديق له - مع بيتين آخرين.

^(٢) بالمناسبة.. إذا ما عاين "المتذوق" في جميل ما عناه في التحسس.. لصدى "أول منزل"

- الطلال - وعهد الصبا.. بـ "قول أبي تمام":

كم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل
-...

ثم.. أيها "الخرب" من .. إعمارنا بك:

أقفرتِ أنتِ، وهنّ منك أو آهل^(١)

.. وهن - أي القلوب -:

يعلمن ذلك.. وما علمت، وإنما أولاكما يبكى عليه العاقل

... وهذا التذكّر - بعد أُمّة^(٢) - :

ذكر الصبا ومراتع الآرام

ماذا فعلت.. هذه الذكرى:

جلبت حمامي.. قبل وقت حمامي

أي: كأن تلکم: أماتني قبل أو آن الأجل!

.. أو حين "يتودد" لها .. بـ

أثلث! فإنّا أيها الطلل .. نبكي، وترزم تحتها الإبل

.. نحن "نبكي" والإبل حانية "كالباكية" .. فلما لا تكن "يا طلل" نالشنا

بذا الحال؟

...

لقارنا في "تذوقهما" أيهما الأجل..؟

فلأن حظي الطائي "أبي تمام" بالسبق "تاريخياً" فالأكيد.. أن لصاحبنا - الجعدي -

السبك..، وذا ما لا أجد له لديّ - على الأقل - اعتراض!.

(١) .. وهن - القلوب - أو آهل.. كما يعلّق أحدهم بـ:

(أنها: أهلة بالوجد.. والذكريات).

(٢) .. "الأُمّة" .. العهد الطويل، قال تعالى في سورة يوسف -عن أحد السجينين-:

﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾

وكالمعتذر من عدم إجابة ذا الجماد - بـ الأثلاث..!:-

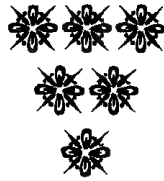
لو كنت تنطق قلت معتذراً بي غير ما بك.. أيها الرجل^(١)
.. فيا.. "ربوعي" ومرتع "الصبا" إني:

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا

و.. ربما لما بها من ذكرى - أو/ صدى السنين الحاكي - لا تغيب على
تقادم عهدها..، كالحب الأول..:

ولكن حبّ خالط القلب بالصبا يزيد على مرّ الزمان.. ويشتدّ
.. ولا ننسى قبل طيّ صفحة "أطلاله" أن نذكر بأن أبا الطيب - كما
قيل - شارك "عنتره" في ثورته على مطالع القصائد أطلالاً أو تغزلاً...
بقوله - إنكاراً لانسياة مثل هذه العادة^(٢) - :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكلُ فصيح قال شعراً متيمٌ؟



(١) ليذكرنا هذا "العجز" بما قاله الأعشى - مُستفهماً -: ..هل تستطيع وداعاً أيها الرجل؟

(٢) ..كما سبقه أبو نواس بـ:

قل لمن يكي على طلل درمن واقفاً، ما ضرّ لو كان جلس
- وقوله أيضاً:

دع الرسم الذي دثرا يقاسي الريح والمطرا

"الفراق":

أما "الفراق"^(١) فإنه ما أعهدُ هو "توأمي" لو كان بينَ يُولدُ
ثمَّ يسبك.. هذه الحكمة - ك علة أو سبب! -:
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا
... والرحيل:

ألفت ترخلي.. وجعلت أرضي.. إلخ
.. وهكذا يفعل به.. "الوداع"^(٢) أبداً:

خُشاشة نفس.. ودّعت يوم ودّعوا فلم أدرِ أي الضاعين أشيعُ
إن عمر هذا - الشاعر - قضاه مُتَنقلاً من بلد.. إلى آخر، وربما الشاذ
عن هذا المنوال.. ما عبّر به في قصيدة "الحُمى":
أقمت بأرض (مصر) فلا ورائي تخب^(٣) بين الركاب.. ولا أمامي
فما أقام سوى مُقامٍ عند "سيف الدولة"..^(٤)
وبرغم جمال تلك الأيام.. إلا أنه لم يعبأ بها.. على حد نظم وتيرته:

فمفترق جاران دارهما "العمر"

^(١) ذر النفس تأخذ ومعها قبل بينها

^(٢) ..ومن جميل ما قيل -..مناسبة-:

وأسأل عنهم من لاقيت.. ومن معي
ويشتاقهم قلبي، وهم بين أضلعي

ومن عجب أني أحزن إليهم
وتفقدتهم عيني، وهم في سوادها

^(٣) تخب: أي تسرع.

^(٤) تقريباً - عقداً من السنين بـ: "حلب".

غني عن الأوطان لا يستخفي إلى بلد سافرت عنه إياب
لذا كان - على ما عهد من نفسه الترحل - .. أولى أن يقول
"للحمداني":

حيي من إلهي أن يراني وقد فارقت "دارك" واصطفاكا
من أن يقولها لـ "عضد الدولة" .. ولكن ..!

- إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم.. فالراحلون هموا^(١) -
.. وقد شبّ معه "الرحيل" والبين منذ فارق "الكوفة" .. طمعاً.. في
ولاية أو مال.. يُنيله الولاية، ولعل بعض ذا.. ما جعله ينفت.. في رثائه
جلدته:

تغرب.. لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً
.. هذه النفحة "المُعظّمة للذات" والتي تحكمت بـ "جنبه" جعلت لإقرار
يقربّه، ولا محلّ يحلّ به، سوى وقت نزرّ عسى - وذا المطلب - يجد منه..
ما جدّ.. له... ليصل مناه..

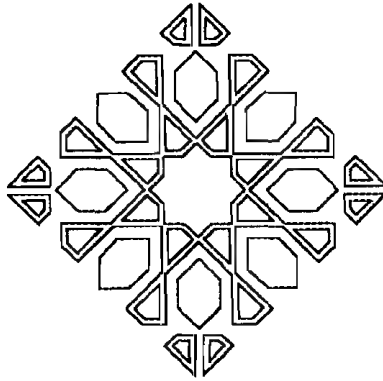
أمسيت.. أروح مُثِرٍ خازناً وبدأً "أنا" الغني، وأموالي المواعيد
إلا أنه على عادته - التي لا يدعها - في الزفر عما يُكنّ داخله.. باتاً^(٢):

(١) .. وأجمل ما يعارضه قول من سبقه:

استودع الله قوماً ما ذكرتهم
(٢) أو/ قول "أبي تمام":

لا تسقني ماء الملام، فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

.. من خصّ بالذمّ الفراق فيّاني من لا يرى في الدهر شيئاً يُحمد^(١)
 .. ولو التفت - الآن - إلينا .. لقال لسان حاله:
 لا تلم كفى إذا السيف نبا^(٢) صَحّ مني العزم، والدهرُ أبى^(٣)



(١) وقال - توضيحاً - في مطلع رثائه للتنوخي:

إنسي لأعلم.. واللييب خير أن الحياة وإن حرصت غرورُ
 ورأيت كلّ ما يُعلل نفسه بتعلّة.. وإلى الفناء يصيرُ
 (٢) أي: أخطأ.

(٣) - شاعر النيل - حافظ إبراهيم.

" الغزل "

فمن شاء فليُنظر إليّ فمُنظري نذيرٌ إلى من ظنَّ أن الهوى سهل
لا يُعاب المتنبّي في مجون أو شراب أو ترف أو عبث..
لأنه منذ صباه كان جاداً رزيناً، لا يهتم بالغواني ولا ينصرف إلى
المطربات من الألمان:

وغير فؤادي للغواني رميّة وغير بناني للزجاج^(١) ركاب
تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لنا إلا بهن^(٢) لعاب
أعزّ مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب
وهذا لا تركية له، بل لأنه جدّي... وذا طموح وأحلام، شغلته عن
حسان الوجوه:

شغلت قلبه حسان المعالي عن حسان الوجوه والأعجاز
فلم يتلذذ بالهوى وصبّ القلب، رغم ماله من غزليات تجدها في مطالع
قصائده، كقوله في وصف "الأسد":
في الخدّ إن عزم الخليط^(٣) رحيلا مطرٌ.. تزيد به الخدود محولا
أو في أخرى..
ما لنا كلنا جوياً رسول أنا أهوى .. وقلبك المتبول

(١) ويرويه ابن جني للرخاخ "من أدوات الشطرنج".

(٢) الضمير يعود على "الشهوات".

(٣) الخليط: العشير أو قريب السكنى -والقصيدة في مدح الفارس "بدر بن عمار بن إسماعيل"-

ومع ذلك فله أبيات بديعة يحسن منها قوله:

جری حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سبتي بدل ذات حسن يزينها تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا رقيب تعدّي، أو عدو له دخل
ثم الاعتراف بنار العشق:

يا عاذل العاشقين دع فنة أضلها الله.. كيف تُرشدها
ففي فؤاد المحب نار جوى أحر نار الجحيم أبردها
وقوله - وهو صبي^(١) - :

بأبي..^(٢) من ودته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولين... فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعا
أو تمهيد.. للإعتذار^(٣):

(١) .. ويذكر أن هذين البيتين أول ما نظم - انظر ما يأتي ص ١٣٢ -

(٢) .. أي: أفديه بأبي.

(٣) وقد زعم - من زعم - أنه كان هناك ودٌ خفي لأخت الأمير.. في قلب شاعره
مستدلاً - بهذا الزعم - من قوله.. بعد الفراق:

رمى.. واتقى رميي، ومن دون ما اتقى (هوى) كاسراً كفي وقوسي.. وأسهمي
وتأكيداً.. من رثائه فيها - حين عزى أخاها.. في فقدها - بقوله:

ولا ذكرت جيلاً من صنائعها إلا بكيت... (ولا ودٌ بلا سبب)
وهل أدل على هذا الاستنتاج - ولا أقول زعم - قول شاعرنا.. غلداً: طوى الجزيرة^(*).. إلخ

^(*) وهذان البيتان أخذنا من الخلود - استشهاداً - ما الله به عليم!.

-...

رمى واتقى رميى ومن دون ما اتقى^(١) هوى كاسراً كفى وقوسي.. وأسهمي
ومن شواهد صنيعة الفني قوله:^(٢)

سفرت وبرقعها الفراق بصفرة سرت محاجرهما ولم تك برقعا
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها^(٣) في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا
وأيضاً له أبيات "جميلة" متناثرة هنا وهناك:

كل جريح تُرجى سلامته إلا فؤاداً رمته عيناهما
* * *

قفي تغرم الأولى من اللحظ مُهجتي بثانية و"المتلف الشيء غارمه"^(٤)
* * *

-...

حتى في عهد الشاعر - انظر ما تقدم ص ١٦ هامش (٢) -

(١) أي: من الوقاية،.. ليزكرنا باختراع نابغة بني ذبيان:

سقط النصيف، ولم تُرد إسقاطه فتناولته،.. و(اتقتنا) باليد

(٢) لعل رأي الأستاذ جورج غريب في محله - هنا - عندما قال:

"يلتجئ المتنبى إلى الجمال الفني(*) عندما تخونه حرارة العاطفة.. ويعوزه صدق الأداء".

باختصار ص ٢٤٦ "المتنبى دراسة عامة".

- (*) أو ما يسمى بـ "الإخراج الفني" كما يفعل (أمير الشعراء) -

(٣) .. وأخذ أحمد شوقي من هذا "الصدر"، فنظم:

ودخلت في ليلين: فرعك والدُجى - ولثمتُ كالصَّبح المنور فاكٍ -

(٤) .. ولندكر بهذه "القاعدة الفقهيّة".

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقاً^(١)

كلما عاد من بعثت إليها غارمني... وخان فيما يقول^(٢)
أفسدت بيننا الأمانات عينا ها، وخانت قلوبهن العقول

أنت منّا فنتت نفسك لكنك غوفيت من ضنى واشتياق

ثم...:

لقد حازني وجدّ بمن حازه بعدّ فيا ليتني بعدّ ويا ليته وجد
و.. حين يعترف:

شيب رأسي وذلّتي ونحولي ودموعي.. على هواك شهودي^(٣)
أو يكون صادقاً حين يوجز عن حبيبه:
حبيبٌ كأن الحسن كان يُحبّه فآثره أو جار في الحسن قاسمه

(١) جاء في (الصبح المثني) أن "السري الرفاء" لما سمع المتنبي ينشده قال:

(..هنا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون).

- وقد أخذ هذا المعنى.. في إنشائه، قول الآخر:

أحاطت عيون العاشقين بخصره فهل له دون النطاق نطاقا -
(٢) أخذ نزار قباني من هذا النظم.. فأنشأ:

كم رسول أرسلته لأبيها ذبحته تحت النقاب العيون
(٣) ألا يكفي.. هؤلاء الشهود!!

.. ويأتي الحكيم هنا.. ليعرّف "ماهية الحب":
 الحب: ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشقٍ ما أعلننا
 وتهتز النفس الأبية.. حين ينفذ الصبر:
 أجد الجفاء على سواك مروءة والصبر.. إلا في نواكٍ جيلا
 حتى الدلال - برغم عدم التعامل به أو معه.. إلا هنا - :
 وأرى تدلكِ الكثير محبياً وأرى قليل تدلل مملولاً^(١)
 وهل شخصٌ هذا الأبى المغوار.. يتحول لمنذر يُهيب من يعشق من
 "العشق":

فمن شاء فليُنظر إليّ فمُنظري نذيرٌ إلى من ظنّ أن الهوى سهل
 .. ونعود إلى دُرّ الصَّبَا، مهد الفتوة (أيام تحرير.. ذيولُهُ، بدارِ آثله عوده):
 عمرك الله... هل رأيت بدوراً طلعت في براقع وعقود؟
 راميات بأسهم ريشها الهد ب، تشق القلوب قبل الجلود!
 .. وكأنني بك تحبّه بـ "لا.." إن لم يخامرك هوى مُهاة أو جُودر:
 مَنْ الجاذر؟.. في زي الأعاريب حمر الحُلَى، والمطايا.. والجلابيب
 .. وإن سألت سؤال المتجاهل.. أو شككت^(٢):

(١) قال صنوه (المعري):

منك الصدود، ومنى بالصدود رضى من ذا عليّ بهذا.. في هواك قضى؟!

(٢) ليس الشكّ المزعزع لليقين، لكنه المقرّب - بسلكه - للحقيقة، قال "ديكارت"

-ت- ١٦٥٠م: (الشك يؤدي لليقين)

إن كنت تسأل شكّا في معارفها فمن بلاك بتسهيّد وتعذيب
 أكيد سوف تُجيب.. "هَنْ" ^(١) !، اللواتي - كما يصفهن - ^(٢)
 ما أوجه الحُضْر المستحسنات به كأوجه البدويّات الرّعايب ^(٣)
 ثم هذا التنهد والتأوه والآه.. على "شامية" - خلى بها-...
 أوّاه بديل من قولتي وآها لمن نأت والبديل ذكراها
 أوّاه لمن لا أرى محاسنها وأصل واهاً وأواه مرآها
 .. "شامية" طالما خلوت بها تُبصرُ في ناظريّ مُحيّاها
 ثم هو لا يتذكر الطلول حبّاً "بالطلول" .. إنما بمن كان بها:
 - وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا - ^(٤)
 /...

^(١) بنات حواء.. فهل على (ابن الفارض) من عتب حين يستعجب:

هل سمعتم أو رأيتم أسداً صاده لحظ مُهاة.. أو ظُبياً
 .. ويسمو على الشاهد، قوله صلى الله عليه وسلم:

(ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء) - الحديث

^(٢) - .. قال (د. موسى العويس) معلقاً:

(أكبر المتنّي الجمال المعنوي للمرأة، المتمثل في وقارها، وعفتها، وحشمتها، ورزانتها،
 ورصانتها، وصفاء نفسها، ونقاء وجدانها وامتلاكها ناصية البيان. ورأى أنّ هذه
 السجايا لا يمكن أن تتوافر إلا عند المرأة الأعرابية التي حافظت على هويتها من
 أوّشاب الحضارة، ولم يغرها السراب أو تنخدع به) - الجزيرة/ عدد ١٠٥٦٥ -

^(٣) جمع رعبوبة وهي: الطويلة الممتلئة.

^(٤) كما يقول (مجنون ليلى).

إن الذين أقمت وارتحلوا أيامهم لديهم لـهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا معهم.. وينزل حيثما نزلوا
وهذا ما جعل للطلول بالقلب "طلول" .. للأحبة، ومغنى. لأيام كانوا
بها - إذا.. ما:

بدت قمرًا ومالت خطوط بان وفاحت عنبراً ورنّت غزالاً^(١) -
ل.. أن من قلبه مُعلق بآمال وطموح شغله عن القرار.. وأبعد به الدار..
وقل منه المزار، لا يُنتظر منه غير الحديث عن همّته وقصده، أو البحث
عن الوسيلة المبلّغة، والطريقة الناجعة.. لنيله!..
.. أمّا وشاعرنا كما نعرف عنه.. من قوله:

مما أضرب بأهل العشق أنهم هووا.. وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كل قبيح وجهه حسن
فأبعد من أن يأسره طرفٌ كحيل أو خدٌ أسيل..
فما أعجزنا أن نعرّف بهذا الشاعر حين نذكر بدائعه بهذه "الوجهة"!
.. مثلاً كقوله - من شكوى مافعل به الهوى -:

كفى بجسمي نحولاً أني رجلٌ لولا مخاطبي إياك لم ترني^(٢)

(١) قال - من قبله.. - أبو نواس (ب.. أربع استعارات):

يكي، فيلدي الدرّ من نرجس ويلطم الخد الورد بالعناب
(٢) .. وهي مُبالغة - كعادة الشعراء.. - وقيل:

رأى رجلٌ بشار بن بُرد - فإذا هو ضخم الجثة.. - فقال له أين قولك:

أو القول .. في عتابٍ جميل:

جِلَّتْ دُونِ المزارِ،.. فالיוםَ لو زرتِ
وأحسنَ به (إجمال) .. عن أهلِ ودّه:
ولو زلتهم.. ولم أبككم
أو.. سماحة العاشق - لدنه -:
وقنعت باللقيا، وأول نظرة
.. ونصحه.. للهائم..
تذلل لها.. واخضع على قرب النوى
و - أخيراً - تعريفه^(٢) .. لـ "الحب" :

فما عاشقٌ من لا يذل.. ويخضعُ
والحب ما منع الكلام الألسنا
وألذُّ شكوى عاشق ما أعلننا
و.. رغم هذا الإبداع - وغيره كثير^(٣) -، إلا أن (الغزل) من الفنون التي

...

إن في بُردِيّ جسمًا.. ناحلاً
لو توكّأت عليه لانهدم
.. وأنت كالثور؟

فقال له.. ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾.

.. على أن مبالغة بشار - هذه - .. لا تصل إلى مدى عبير شاعرنا.. به
وشكيتي فقد السقام لأنه
^(١) وكم ذهب - هذا العجز - مثلاً..!

^(٢) .. "بجازاً" - وقد كرّرت هذا المسوغ.. لذلك -

^(٣) كما قال.. في لقاء.. بعد "ضنى البين"

وتوقّدت أنفاسنا حتى لقد
أشفقت أن تحرق العواذل بيننا

لم يلتفت لها الشاعر، وإنما تكلفها "تماشياً مع سجية الشعراء" -ربما..^(١) -
غزلٌ ظهر به جهد العقل والصنيع الفني.. أكثر من أثر العاطفة ورقة
الشعور، كيف لا وهو القائل:

أطعت الغواني قبل مطمح ناظري إلى منظر يصغرن عنه ويعظم
وكان أبا الطيب اصطنع الغزل^(٢)، أو فرضه على نظمه - ألم يقل وكأنه
يعني.. ذاته/ وقد يتزيّا الهوى غير أهله.. -

(١) وإذا ما أردنا أن نُجازف - في الحكم على غزله - .. استعرنا قول الشاعرة عائشة
التيمورية (ت ١٩٠٢): (أنه لم يكن "الغزل" في شعره إلا من قبيل "تمرين اللسان")
و.. يعلّق د/ غازي القصيبي: (المرأة في أكثر قصائد الغزل ليست امرأة، إنما هي "رمز"..
لكن يُبنى عليها - فقط - لأنها كائن جميل يأسر، وهو - هذا النمط - تقليد
قديم!)

.. على أننا نستثني من تعليله - الواقعي - أهل التجارب.. في أسر الهوى، كمسلم بن
الوليد - صريع الغواني - القائل.. بنفس تنهّد العاشق:

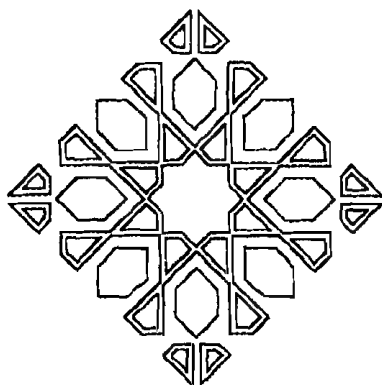
سقتني بعينها الهوى،.. وسقيتها فهدب ديب الراح.. في كل مفصل
(٢) قال تركي السديري - رئيس تحرير صحيفة (الرياض) - عن صناعة الغزل لدى المتنبي:
" .. لم يبحث متذوقوا الشعر في قصائد المتنبي عن إبداعات الغزل التي تأتي عنده
متكلفة وكأنها بعضٌ من كلّ .. لا بد من تواجده حتى لا يكون ذلك الكل ناقصاً
عند من يتابعه..".

الأبسط في إيضاح ذلك قول أنيس المقدسي - مقدماً لغزل البحري هو:
(نوع من الفن الكلامي يصدّرون به قصائدهم ثمهيداً لما يقصدون).

فالغزل يحتاج إلى فن عاطفي صادق^(١). أما الأثر الغنائي الخالص عند الشاعر فهو قليل.

... والذي يظهر أن قلة هذا الأثر - الغنائي - أتت من قلة توجّد الهوى .. بداخله^(٢) - الذي لم يُشغل به نفسه -، ألم يقل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباة إلا من يُعانيها^(٣)..!٢٠



(١) .. والذي يأتي - أو يتولّد - من تجربة..، أو نتاجُ تجربة

- ولا كل من عانى الهوى... بُعِثِم -

(٢) لكن - الحق/ أنه مهما تنصّل الإنسان من هذا الداء (الغزل)، إلا أنه مُتغلغل في النفس الشجية، أو الشاعرة مثله.

(٣) قال الشاب الظريف:

فعمسى يعينك من شكوت له الهوى في حمله، فـ (العاشقون رفاق)

"الذاتية": (١)

شاعرنا قد يكون من أكثر الشعراء حديثاً عن نفسه: متفاخراً..
 فليفخر "الفخر" إذا غدوت به مُرتدياً خيره.. ومتعلّاه
 و..
 أبدو.. فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
 ومتعاضماً:
 تغرّب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً (٢)
 أو...:
 أمط عنك تشيبي بما وكأنما فما أحدٌ فوقِي ولا أحدٌ مثلي
 ومعجباً:
 إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد (٣)

(١) قال د. غازي القصيبي - سيرة شعرية، ص ٩٦ -:

شعر المتنبي - في نهاية المطاف - ينطوي على عشق واحد.. هو عشق الذات، وهذا
 العشق هو الذي أعطانا شعراً كهذا:

أرى كلنا يغني الحياة لنفسه حريصاً عليها مُستهماً بها صبا
 (٢) -.. كما قال عنتره:

لا تسقني ماء الحياة بلذّة بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل -
 (٣) .. كقول أحدهم - من.. عهدنا -:

ومنّا الوزير، ومنّا المشر ومنّا الخطير.. ومنّا "أنا"!
 .. ويفرط الدكتور عبد العزيز الدسوقي - كتابه: عالم المتنبي.. الشعري - في العبير عنها:
 -...

.. لم لا ...؟ و...:

الخيل والليل واليلاء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
وشجاعة:

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً
حتى تعجب مني القور والأكم^(١)
وإقدام:

لتعلم مصر ومن بالعراق
وأني وفيتُ وأني أبيت
.. ومن يك قلبٌ كقلبي له
جراءة..:

يحاذرنني حثفي.. كأنني حثفه
وتكنزني الأفعى. فيقتلها سُمي
وسمواً:

كم تطلبون لنا عيأً فيعجزكم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
ويكره الله ما تأتون والكرم
أن الثريا وذان الشيب والهزم

...

"شخصية هذا الداعية السياسي والمفكر القومي والشاعر العبقرى واضحة تزحم هذه القصائد، لقد كان يمدح نفسه ويتغنى أشواق روحه، في بداية معظم هذه القصائد وفي خواتيمها، وأحياناً كانت تشغله ذاته عن شخصية المدوح، ولهذا عندما كان يرتبط بأمر أو وزير كان يقصر شعره عليه، لأنه كان يحقق (ذاته) من خلال هذا الأمير أو الوزير، وقد ظل مرتبطاً بسيف الدولة تسعة أعوام كاملة أنجب خلالها أجمال شعره".

(١) القور: جمع قارة/ الأرض ذات الحجارة السوداء. الأكم: جمع أكمة (الجليل الصغير).

وثقةً - ليس لها مثيل - :

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمرٍ مُنير
ثم.. كل هذا قليل إذا عدنا إلى قصائد:

رثاء جدته / "ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً"

وقصيدة: "إذا غامرت في شرف مروم"

وعتابه (الشهير) لسيف الدولة: "وآحرّ قلباه من قلبه شبم!"

أو الحمى / "ملومكما يجلّ عن الملام"^(١)

وفي الردّ على من زعموا موته: "بم التعلل.. لا أهل ولا وطن؟"

وأخيراً - وهي أولاً - قصيدة عهد الصبا:

لا بقومي شُرفت بل شُرفوا بي وبنفسي فخرتُ لا بجوددي
وبهم فخر كل من نطق الضا د، وعود الجاني وغوث الطريد
وهل بعد هذا من ذاتيةٍ يبقى للحديث عنها..؟ لا أظن:

أن صخرة الوادي إذا ما زُوِّجت وإذا نطقت فإني الجوزاء
ف...:

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ولا يفوتني التنويه بقوله "أنا الثريا"، كيف لا..! وهو القائل:
وإني لنجم تهتدي صحبتي به ..إذا حال من دون النجوم سحاب^(٢)

(١) وفيها تعرّي واضح .. لهذا "الجواد" الذي أضرب به (طول الحمام) أو الراحة.

(٢) ليذكرنا.. بقول نذّه - في عصره - أبو فراس الحمداني:

هذا التعالي^(١) الذي - ربما - سبب له الحسد ممن حوله، حتى أن سيف الدولة كره من شاعره هذا التعاضم الذي بلغ منتهاه.. فجفاه..^(٢)
 حتى حمل الشاعر أن ينظم:
 يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم!
 وانتهاءً بقوله - كأنه استطال جفاء الأمير - :

...

سيدكرني قومي إذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ
 - ومن معناه قول (ابن المعتز): لولا ظلمة الخطأ، لم يين ضوء الصواب -
^(١) .. إذ ليس بجديد - هذا التعالي - من الشاعر، ألم يقل في كنف أبي العشائر بمدحه:
 لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق
 وكأنه يُشبه الآخرين من الشعراء بالحمير - أعزكم الله -
 ..وقد قال - من قبل - دعبل الخزاعي
 إني لأفتح عيني - حين أفتحها - على كثير، ولكن لا أرى أحدا !
 وصدق عليه قول أبي تمام:
 يُسيء بالإحسان ظناً.. لا كمن يأتيك، وهو بشعره مفتون
 ...ولا ننسى التوجيه الكريم قال تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ سورة النجم، آية ٣٢.
^(٢) فقال - في ذا الجفاء - :

أرى ذاك السود صار ازورارا وأصبح طويل السلام اختصارا
 تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مرارا
 - ولو .. استشهد (حينها) بغير شعره لقال:
 وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
 وكنت أعبدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا^(١)
المراد..

ومن يبغي ما أبغي من المجد والعلی
ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم^(٢)
المجد والعلی...، إذا أيتها النفس:
إن لم أذكرك على الأرماح سائلة
و.. اعتزازاً: ^(٤)

فموتي في الوغى عيشٌ لأنّي
.. رعب:

مَنْ لو رأي ماءً مات من ظمأ

فما لجرح إذا أرضاكم ألم^(٢)

تساو المحايا عنده والمقاتل
وليس لنا إلا السيوف وسائل

فلا دُعيت ابن المجد والكرم

رأيت العيش في إرب النفوس

ولو غرّضت له في النوم لم ينم

(١) قاصداً أبا فراس - بقوله حاسدنا - ورضي عنه سيف الدولة.

السبب: .. وكما قيل/ قد يكون بين المتعاصرين منعه من الانصاف، وهذا مما يعتذر لأبي فراس، الذي لا يُنكر على المتنبّي قصب السبق في ريادة القريض، إذ لا يمكن أن يغمط قدره.. مثله!!

(٢) - وقال ابن الرومي:

مستظفر منكم بالشفاء فتلج

لعل قلوباً قد أطلتكم غليلها
(٣) أو.. إلا رؤوسكم.

(٤) ولذلك تجده.. يُرسل .. كالناصح:

بين طعن القنا وخفق البنود
وأشفى لفل صدر الحقود

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
فرؤوس الرماح أذهب للفيظ

صبر وتجلّد:

كأنى دحوت الأرض من خبرتي بها كأن بنى الاسكندر السدّ من عزمي
فخر:

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري، ولا سمعت بسحري بابل
كبرياء:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
عزم - بلا نظير - :

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر
غرور وصل مُنتهاه:

أنا الذي بين آلاله به الأقدار، والمرء حيثما جعله
وتظهر الجهل بي وأعرفه والدرّ درّ برغم من جهله
وثقة.. ليس كمثله شيء:

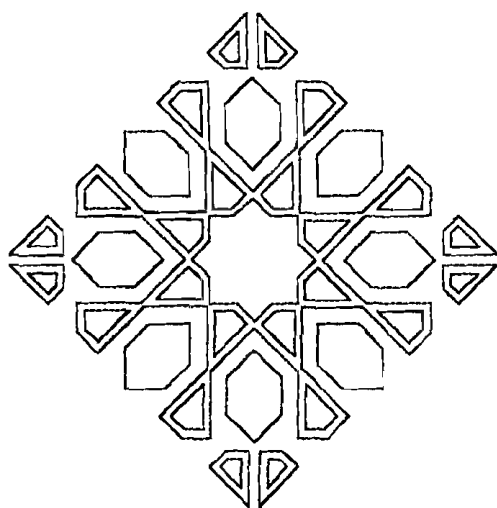
يسابق سيفي منايا العباد إليهم كأنهما في رهان
.. وننتهي عند هذه النفس العظيمة - لدى صاحبها - إلى مجلس الأدباء
/و/ حُصاده^(١) .. في بلاط سيف الدولة، حيث تفجّرت: "مميمته" نفس
الكبرياء عنده^(٢) بقوله:

(١) - .. أو ما خُيّل إليه.. من غرور الذات: أنهم كذلك!! -

(٢) وكأنه يُوعز (على لسان غيره) .. إلى من يعاتبه - على هذا الإفراط - بـ:

ولا أرضَ الجهل خِديناً وصاحباً ولكني أقبله حين أحرج
...

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
.. الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم



-...

- انظر .. مطلع ص ٩٢ -

ترانيم^(١) .. على مقام "المتنبي"

- بلا.. تعليق!! :-

"أنا الطائر المحكي والآخر الصدى"

* * *

"أنا صخرة الوادي إذا ما زوجحت وإذا نطقت فإنني الجوزاء"

* * *

"أنا تُرب^(٢) الندى، وربُّ القوافي" وسام العدى، وغيظ الحسود"

* * *

"لا بقومي شرفت بل شرفوا بي" وبنفسي فخرت لا بجودودي"

* * *

"إن أكن معجب فعجب عجيب" لم يجد فوق نفسه من مزيد"

* * *

"لقد تصبرت حتى لات مصطبر" فالان أقحم حتى لات مقتحم"

* * *

".. ولو برز الزمان إليّ شخصاً" خضب شعر مفرقه حُسامي"

* * *

"أذافني زمني بلوى شرقت بها" لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا"

* * *

"أضمتني الدنيا فلما جئتها" مستسقياً مطّرت عليّ مصائبها"

* * *

"أسري في ظلام الليل وحدي" كأنني منه في قمر منير"

* * *

(١) .. - ذاتيه -

(٢) تُرب الإنسان: من ولد معه - أو توأمه -

"تغرّب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً"

* * *

"أعط عنك تشبيهي بما.. وكأغما فما أحد فوقى..، ولا أحد مثلي"

* * *

"وانى لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف"^(١) أن تسكن اللحم والعظم"

* * *

"وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة بأنى كامل"

* * *

"كأن بنهم عالمون بأننى جلوبٌ إليهم من معادنه اليتما"

* * *

"كأنى دحوت الأرض من خبرتى كأن بنى الاسكندر السد من عزمى"

* * *

"يحاذرنى حتفى.. كأنى حتفه وتنكزنى الأفعى.. فيقتلها سُمى"

* * *

"ضاق بى ذرعاً من أن أضيق به زمانى واستكرمتنى الكرام"

* * *

"ومن يك قلباً.. كقلبي له يشقُّ إلى العزّ قلب التوى"

* * *

"وقلبي من الملوك وإن يُرى لسانى من الشعراء"

* * *

"أعطى الزمان فما قبلت عطاءه وأراد لى.. فأردت أن أتحيراً"

* * * * *

(١) الأنفة أى: الاستكبار والاستكفاف.

"الهجاء"

- لسانك لا تذكر به عورة امريء فكلّك عورات، وللناس أعيُن -
 لن آتي كثيراً على "الهجاء"^(١)،،، وليس ذلك تغافلاً بل قصداً^(٢).
 لأنني أحترز من الهجاء -عموماً- لذّمه من لدن المشرّع سبحانه
 وتعالى،.. هذا أولاً.^(٣)

كما قال صلى الله عليه وسلم - لمن سأله: وهل نحن مؤاخذون على ما
 نقول - ب: ثكلتك أمك، وهل يكبّ الناس على وجوههم في النار إلا
 من حصاد ألسنتهم، والحديث الآخر:
 (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء).^(٤)

(١) ..أو على حد وصف أحدهم ب: أنه (التصوير السخري الحاد).

وهو/ التجريح الشخصي، أو: قضاء العاجز، وسلاح المفسد - كما قيل

(٢) - قال زهير بن أبي سلمى:

وكانت ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم
 لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم -
 (٣) .. فهل يُعقل مثلاً: أن نأخذ منه - أو من تجربته - هذا المبنى.. بهذا المعنى:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رحمه غير ظالم
 أو قوله:

فلم أرَ وُدَّهُم إلا خداعاً ولم أرَ دينهم إلا نفاقاً
 لكن الأحسن من هذا التجريح، قول المعري:

جربت دهري وأهليه، فلم تترك لي التجارب في ودة امرئ غرضاً

(٤) .. قال صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)

ثانياً/ لأنه يعتمد أو يُبني صيغه على التجريح الشخصي^(١) الذي قد لا يكون للمرء - المذموم - حولاً ولا طولاً بوصمها.. كالعرج، أو العمش.. إلخ.^(٢)

...-

- وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين، إحداها: إن لم تنفعه، فلا تضره، والثانية: إن لم تسره فلا تغمه، والثالثة: إن لم تمدحه فلا تذمه.. وكان الفضيل بن عياض، إذا اعتدى عليه شخص بالشتم والسياب رنع كفه مبتهلاً وقال: "اللهم إن كان كاذباً فيما رمانني به فاغفر له، وإن كان صادقاً فاغفر لي". هذا السلوك الرائع الواجب قوله.

(١) ألا تستقبح منه ذائقة القارئ حين يقول عن كافور وحاشيته:

إنني نزلت بكذابين ضيفهم
عن القرى وعن الرجال مصدود
ثم يوجه - لمضيفه - هذه النبذة.

جوعان يأكل من زادي ويمسكني
لكي يُقال عظيم القدر مقصود
... وهذا التهكم الواضح - .. الفاضح مقصده - :

ولا توهمت أن الناس قد فقدوا
وأنت مثل أبي البيضاء موجود
(٢) قال شاعرنا في أحدهم - وقد كانت إحدى عينيه مفقوءة - :

يا بن "كروم" يا نصف أعمى .. وإن تفخر فيا نصف بصير!
.. أما خلق الطباع - وهي غالباً - مكتسبة - .. قال أحدهم مداعباً:

و "ثقیل" ما برحنا
نتمنى البعد عنه
غاب عنا.. ففرحنا
جاءنا أثقل منه
.. وغير هذا.. الكثير!

ولا يخفى على المطلع على ديوان شاعرنا، ما سكه - بزعمه - على المولى الإخشيدي
-...

ثالثاً: لأن معظمه مُبالغات وتكبير لصغير.. خفي، أو لعداوات^(١).. ليس ورائها تأصيل.. يُجيز الخوض فيها.^(٢)

على أن لكل قاعدة استثناء، فلن أضمر ما يوّد المداد.. من نفثٍ لجميل.. عتابه للأمة.. - بعد.. ويلات^(٣).. لقيها-

بكل أرض وطئتها أممٌ تُرعى بعد كأنها غم^(٤)
.. قال - غيره^(٥) - بنفس النفسية التي لدى الشاعر.. أو قياساً/

"كافور"، لكن يذبّ عنه، ويحليّ عن زيفه، قول د. غازي القصيبي (ما تقدم هامش ٢ ص ٤١):

.. لكن هو الشعر يفعل ذلك في الشاعر أو ما يستدرجه إليه هواه، وما تملّيه عليه أمانيه!
^(١).. وكان المرء يحتاج.. على لسان الشاعر نفسه:

وإذا أتتك مدمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كاملٌ
^(٢)وكان الأديب (عمود شاكر - رحمه الله -) قد أجاز للشاعر نقد -أو هجاء- مصر .. وأهلها في عهد كافور، وأطر لذلك "الجواز" في استرسال -انظر في/ سفره ص ٣٥٠-
واستشهد بذلك في أبيات للقاضي التنوخي الكبير.. مطلعها:

توكنا بأرض مصر كل قدمٍ له باع يقصر عن ذراعٍ
نفوس لا تليق بها المعالي وأخلاق تضيق عن المسا عي
.. إلا أنني أعتبر ذلك.. مما تملّيه العاطفة التي لديه للشاعر.. -وحسب هذا الاعتذار.. من حجة -

^(٣) ألم يعتب (شاعر النيل) على أمة - بلده - في ساعة ألم.. ونضوب الأحلام، صدر منها..

فما أنت يا مصر دار الأريب ولا أنت بالبلد الطيب
^(٤) قال عمر أبو ريشة رحمه الله - موازياً (من البيت) بين تلك الحال وحال اليوم -:

أمتي.. كم صنمٍ تجددته لم يكن يحمل طهر الصنم

مما يُزهدني في أرضٍ "أندلس" تلقب معتضد^(١) فيها، ومعتمد..
.. ألقاب مملكة في غير موضعها كاهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد^(٢)



...

(٥) ابن رشيقي القيرواني

وتعليقاً على مثل هذا - السلاح - ، قال ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ):

(كان ولاية بني أمية في نهاية من الانقياد للحق لهم أو عليهم، وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة، ولما خرقوا هذا الناموس كان أول ما تهتك أمرهم.. إلى أن وقعت الفتنة.. فظهرت ملوك الطوائف واستبدوا. حتى.. أصبح توثبهم على السلطة مصدر إلهام الشعراء!!).

(١) ..أي: المعتضد/ عباد بن محمد بن عباد (٤٠٧-٤٦١هـ).

(٢) وقد ردّ ابن اللبّانة على أبيات ابن رشيقي القيرواني هذه، بأنه "كلب عقور نبح" بهذا.. مدافعاً عن آل عباد، ضمن كتاب ألفه فيهم سماه "الاعتماد في أخبار بني عباد".

- (لافتة...):

.. تُرى أكان الإسلام "غريباً" في الأندلس(*)، ولم يُمنح فيه إلا "جواز عبور مؤقت" ليرحل فيه إلى دويلات ملوك الطوائف، أو ما تسميهم المصادر الأسبانية استخفافاً بهم "عليك" (Reyezuelo) وهو مصغر تحقيري لكلمة (ملك) (Rey).

- وقد ورد في كتاب (نفع الطيب) للمقري:

لم يبقَ للجورِ في أيامهم أثر إلا الذي يعيون الغيد من حور -
(*) قال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي - راثياً ضياعها من المسلمين .. ، في مطلع وعظي حكيم - :

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغمر بطيب العيش إنسان
.. هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمن...، مساءته أزمان

"الحُسَاد" ^(١)

(وعداوة "الشعراء" بئس المقتنى) ^(٢)

.. ولم لا تكون - عداوة الشعراء - بئس المقتنى ..

فإذا مرّ بأذني حاسد كان ممن كان حياً فهلك ^(٣)

ولعل من أسباب قوله - في رحاب سيف الدولة -:

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

.. تكاد خلف تلك الذاتية التي تطرقنا لها، لا يكون سببها - أو باعثها -

^(١) .. للإينصاف: نقول (المنافسون)؛، فالحسد له داع - كقول الشاعر:

حسدوا الفتى، إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم -
.. لكنه غير الذي نبسط عنه (هنا).

لأن الحسد - الذي قيل فيه: العجز عن المنافسة - هو: اغتمام الحاسد وقت سرور
المحسود.

^(٢) وصدر البيت: ومكايد السفهاء واقعة بهم.

^(٣) يُذكر أن جرير حين تعرّض له الراعي النميري ^(*) - بالقصة المعروفة - سهر كل
الليل .. في تجميع لمعنى يهجو به ..، فلما أن توصّل إلى:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت .. ولا كلابا
فزّ قائلاً .. / قتلته ورب الكعبة - ومُدركٌ من المعنى المراد من وراء هذا.

وهذا ما عناه المتنبّي بمقصد جرير .. حين أنشأ - البيت الشاهد -

- ^(*) (أبا جندل) .. وذلك بقوله/ خزانة الأدب (١/٣٤):

يا صاحبي دنا الأصيل .. فسيروا غلب الفرزدق في الهجاء جريراً -

"الغرور وحده"، بل حُسَّاد هذا الشاعر^(١).. فكأنه يراهم حتى وهم في مخابئهم...، حتى ليقول:

إني، وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبة لهم!
و.. لقد عانى المتبني من حساده الكثير:

أرى المتشاعرين غُرِّوا بذهمي^(٢) ومن ذا يحمّد الداء العضالا
.. كما عانى من طوارق الأحداث الكثير:^(٣)

أظمتني الدنيا فلما جئتها مُستسقياً.. مطّرت عليّ مصائبها
وكما ذاق من مصائبه البلاوي:
أذاقني زمني بلوى شرقت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتجبا^(٤)

(١) .. قال لسيف الدولة.. مُجَاهراً:

أزل حسد الحساد عني.. بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حُسَّداً
(٢) ك.. "الحسين بن الحجاج البغدادي" الذي قال فيه:

يا ديمة الصفح هبّي على قفا المتنبّي
ويا قفاه تدلّي واجلس قليلاً بجنبي
.. إلخ هذا النظم (الوضع)

(٣) .. ولا نستغرب منه.. حين يُخاطب "الحمى" التي رابته في مصر.. بقوله:
أبنت الدهر عندي كلّ (بنت) فكيف وصلت أنت من الزحام
.. أي/ إن المصائب أحاطتني من كل جانب فما المنفذ الذي من خلاله.. وصلت!!

(٤) مما جعله ييوح - تألماً - عما يُخالجه:
لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيناً تيممه عين ولا جيد
يا ساقيتي أحرّ في كؤوسكما؟ أم في كؤوسكما همّ وتسهيّد!
-...

فقد ذاق من خداع ونفاق:

إذا ما الناس جرّبهم ليب
فلم أر ودهم إلا خِدا عا
إذا: لنُعرّف هذا "المحسود":

"أنا" تُرب الندي، وربّ القوافي
أنا في أُمّة تداركها الله
أو هكذا وُلد.. في:

(دهر).. ناسه ناسٌ صِغارُ
.. مرّ بإحدى تنقلاته - الكُثر - بأرضٍ تُسمّى (قنسرين) ثم قال - حين
سمع زئير أسد -:

أجارك يا أسد الفراديس مُكرم؟
فتسكن نفسي،.. أم مهان فمُسلم؟^(٢)

-...

أصخرة أنا^(*)؟ مالي لا تحركني
.. ماذا لقيت من الدنيا.. وأعجبه
أسميت أروح مثر خازناً ويداً
(*) من معنى طرقة أحمد شوقي بـ:

- سَلِي مَنْ راع^(**) غَيْدِكَ بعدوهن -
أي: أدخل الروع إليه.

(١) .. وهذه مبالغات مُستبحة.. في ذائقة القارئ "المسلم".

(٢) .. ولا يُشابهه إلا قول (الأحيمر السعدي) - في عهدٍ ضاعت به إنسانية الإنسان -:
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان .. فكادت أظير
قال عبد الله البردوني - موضحاً:

-...

ورائي وقْدامي غُدادة كثيرة أحاذر من لصٍّ ومنك.. ومنهم
..، كما نفّس عن مكنون ما.. يتجرّعه:

والهمُّ يخترم الجسيم نحافة ويمسّ ناصية الصبي فيهرم
لا يحدّ عنك من عدوّ دمه وارحم شبابك من عدوّ، تُرحم
ثم يفيض من غيظ ما يجد:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدم^(١)
يؤذي القليل^(٢) من اللئام، بطبعه من لا يقلّ كما يقل ويلوم
.. ومن البلية عدل من لا يرعوي عن جهله،^(٣) وخطاب من لا يفهم !
.. فلا يدع مناسبة تخمره بهمّ إلا وأجلى عن مدى صبره وقوّة عزيمته^(٤)
- كي تتولّد داخله.. فتجاري حوادث عمره، أو تغلبها -^(٥)، على أن
أكثر ما يُعرّفنا بذاتيته "رثاؤه جدّته":

...
قالوا هم البشر الأرقى وما أكلوا شيئاً كما أكلوا الإنسان أو شربوا

(١) قال أمير الشعراء - من نفس هذه الروح الجبارة -:

إن البطولة أن تموت من الظمأ ليس البطولة أن تُعَبَّ الماء

- وانظر لقول عنزة هاشم (٢) ص ٧٩ -

(٢) القليل: أي الخسيس.

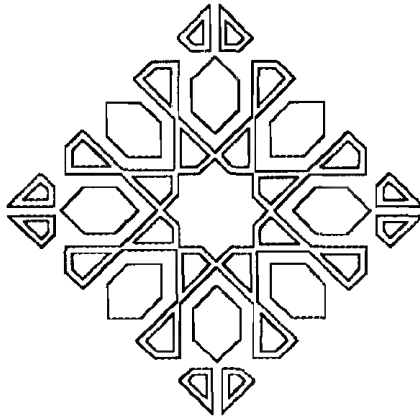
(٣) وفي رواية / عن غيّه.

(٤) .. كقوله: أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر

(٥) .. واقرأ إن شئت قصيدة: أفاضل الناس أغراض لدى الزمن

لئن لذّ يوم الشامتين بموتها فلقد ولدت مني لأنفسهم رغما
ويختتم حديثه إليهم^(١):

ألا ليست الحاجات إلا رؤوسكم وليس لنا غير السيوف وسائل
ويعود فيعرّي عن إبهام مارد استيفاء الحاجات - أو ردع الحساد - :
من اقتضى بسوى الهندي^(٢) حاجته، أجاب كل سؤال عن هل.. بلم!



(١) .. أي للحساد.

(٢) الهندي: السيف.

"الحكمة": (١)

...وتعني - كما شرحها محللوا الكلمة - : (المعرفة وعلم الاطلاع والإدراك)
أرى كُلّنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صبا^(٢)
فحب الجبان النفس أورثه التقي وحب الشجاع النفس أورده الحربا
،... ويعطف.. إلى هذا "التقرير" - المدرك - :

(١) .. يقول الدكتور مرزوق بن تنباك (كان حظ المتنبي - الشاعر - عظيماً من هذا- أي
الحكمة - .. حظاً لا يُدفع، فما ترك سلوكاً أو خلقاً إلا قال فيه مثلاً يُذكر، كلما
عنت مناسبة تستثير الإحساس بوصف أعمال الناس وأخلاقهم) - اليمامة. عدد:
(١٢٣٨) -

(٢) قال الراوية "أبو بكر الخوارزمي": أمير شعراء العصر (أبو الطيب المتنبي).. ولو لم يكن
له غير هذين البيتين لكفياه، .. وقد تمنى بعض الشعراء - الأقدمين - أن يكون لهم
هذان البيتان بشعرهم كله.

ولنا أن نقول بعدها: سامح الله من تتبع سقطاتك (واقعاً على الجروح)، والتي لا توازي
جناح بعوضة، من إجمال ما تركت! - انظر ما تقدم ص ١٧ مع الهوامش ١/٢/٥ -

فما نرى في خبايا يحمل تلك المتابعة - للسقطات - : إلا غمزاً ولزاً، أو تشفيّاً!!..

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - حين أثنى على شعر الخطيئة - :

ما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلا وجدته، وقلما تجد ذلك في شعره، وقال عن

النابعة (لكن الضراعة أفسدته، كما أفسدت جرولاً - أي، الخطيئة -)

- أما صاحب كتاب "سرقات المتنبي" فيكفي للرد عليه قول شاعرنا (خزانة الأدب

:- (١/٣٨٣) -

الشعر جادة، وقد يقع حافرٍ على حافر.

سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا من جيئة بها.. وذهب
 تملكها الآتي تملك سالب وفارقها الماضي فراق.. سلب
 (أثرت حكم المتنبي - أو لنقل شعره عموماً - المعرفة العربية والإسلامية
 والإنسانية إلى درجة عالية، لم يصل إليها أيُّ شاعر آخر،^(١) فالخاصة
 والعامّة يحفظون له.. ما يعينهم على مواجهة الحياة..!)^(٢) فإن رأوا مالا
 آل إلى آخر بسبب مصيبة حلّت بصاحبه.. تمثّلوا بقوله: "مصائب قوم
 عند قوم فوائد".

وإذا عرف الإنسان قيمة الكتاب ذكر قوله: "وخير جليس في الزمان

(١) قال القاضي /عبد الرحمن البياني: (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس).

- وقد قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً -
 ثم قال الراوي - معقّباً - أي والله ينطق ألم يقل:
 ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له.. ما من صداقه بدأ
 .. ربما لأنها - أي حكمه... كما يقول أنيس المقدسي - (دقيقة المعرفة بحوادث الزمان
 صائبة النظر في عواطف الإنسان..).

(٢) .. كتب الأديب بدر المطيري: (حكم المتنبي/ حقائق لا شك.. وقد تكون في جانب
 كثير منها بسيطة.. ومعروفة، لكن "الشاعر الكبير" نفث فيها من روحه وموهبته
 الخلاقة..، فكانت كالسحر الذي يقلب حياتنا رأساً على عقب، كمثّل فلسفته
 لحقيقة "الموت":

وما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
 ف "الموت" كالسارق: يأخذنا على حين غفلة -أو غرة ولا نراه- الجزيرة عدد ٩٣١٤ -

كتاب" وإذا حز بالإنسان أمر ولم يجد المساعد ذكر قوله: "إذا عظم المطلوب قلّ المساعد" .. إلخ..^(١))

.. كان لرصيد المتنبي^(٢) من اللغة والثقافة^(٣) والتجربة^(٤) .. والترحال؛ ما جعله يمازج ويزاوج بين بعضها بعضاً، ليخرج لنا بهذا التزاوج - والامتزاج - الأبيات النادرة^(٥) كدور من جوف صدف في بحر عميق.^(٦) وهذا ما جعله "ينبؤ" باللغة، ويعلو بالشعر...، ويسمو بالحكمة:^(٧)

(١) بتصرف.. د. عبد العزيز الفيصل - الجزيرة عدد ٩٣٣٧.

(٢) وأكد تقرير (سهيل عثمان ومنير كنعان) - المحصول الفكري للمتنبي/ص ٣٢٥ - ب: (و.. ليست العبرة هنا بكثرة الاطلاع والحفظ، بل بالقدرة على الاستعادة الملائمة للمناسبة، فكم من الناس قرأوا وحفظوا أكثر من شاعرنا، ولكن ذاكرتهم ظلت ضئيلة عليهم برصيدها.. إلخ).

(٣) .. انظر للمزيد عن مدى ثقافته كتاب الفن ومذاهبه ص ٣٠٩ وص ٣١١ - إيضاح/ ورد في القاموس - تحت مادة (ث ق ف) في أحد معانيها أنه ليس مجرد اكتساب المهارات اللازمة في الحياة البشرية وحسب!، ولكن الحذق فيها أيضاً. أي... بمعنى: الأخذ من كل فن بنصيب.

(٤) قال "برناردشو":

يكتسب الرجال الحكمة لا بنسبة تجاربهم...، بل بقدرتهم على التجربة.

(٥) .. قال د. محمود الربدائي: "المعروف أن خير شاعر نطق بالحكمة هو المتنبي... - مجلة الفيصل عدد (٢٩٩) -

(٦) إذ كان يأتي بالحكمة بالبيت وحده، أو الصدر، أو نصفه أو..

(٧) مما.. جعل صاحب بن عباد يؤلف رسالة لفخر الدولة بن بويه، جمع فيها من شعر أبي...

لم يُبقِ الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تيممه عين.. ولا جيد^(١)
 .. ولكنها - أي حكمه - .. "تكاد تكون حمراء تقطر دماً".^(٢)
 على أن الذائقة - العفيفة - لا تُجيز له.. هذا الحكم - عفواً أقصد النظم -
 والظلم من شيم النفوس^(٣) فإن تجد ذا عفة.. فلعللة^(٤) لا يظلم^(٥)

...

الطيب زهاء ثلاثمائة وسبعين بيتاً تجري مجرى الأمثال قال في مقدمتها: (وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصاً مذهب يسبق به أمثاله).
 ويضيف د. شوقي ضيفاً قائلاً: لعلنا لا نغلو إذا قلنا إن المتنبي استطاع مع كل ما رأيناه عنده من ضروب تصنع مختلفة أن يخلق في أسمى أفق الشعر العربي - الفن ومذاهبه ص ٣٢٦.
 (١) - .. انظر تمام الأبيات، فيما تقدم ص ٩٣-٩٤ هامش (٤) -
 (٢) على وصف الأديب "أنيس المقدسي" .. - أمراء الشعر العباسي ص ٣٥٤ -
 .. ولا نعجب أن يجعل "ابن رشيق" من أهم مزاياه (الأمثال.. وذم الزمان) - العمدة/ ص ١٩٤ -، ثم يضيف مكرراً: ومن أكثر من شيء عُرف به.
 (٣) .. لا ليس من شيم النفوس - أو طبائعها - بل مساوئها.. قال تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي.. وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" - الحديث..
 وقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من الظلم بقوله: "اتقوا دعوة المظلوم.. فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" .. أو كما ورد.
 (٤) والعلة قصد بها "الرادع" كالدين .. الذي حرّم الظلم، أو الغنى أو الخوف من السلطان، أو حتى الزهد بما لدى الآخرين.. إلخ.
 وربما الأحسن للفترة من تعليقه، قول الفلاسفة/ إن النفوس تركت الشهوات البهيمية طبعاً.. لا خوفاً.

(٥) .. وقد يكون أخذ "البيت" من حكم زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يدد عن حياضه بسلاحه يَهْدَم، ومن لا يظلم الناس يظلم
 .. قال - غيره -

وأحياناً على بكر أخينا ... إذا لم نجد إلا أخانا

...

قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾^(١) إنما يجب أن لا يوافي ذا "الحلم" لغير من يقيم... - حتى لا يظن ذلك ضعفاً^(٢):
ولا خير في حلم.. إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكدر^(٣) -
ثم هذا التنظير:
ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام^(٤)
وسوى هذا العيب دونه أو أدنى..،
وكيف ينتفع بنظره من استوى عنده الليل والنهار:^(٥)

...

إذ.. هذه حالهم، وما انتهى إليه تدبير عقولهم.
فلأن عُذر "زهير" - وغيره - لأنه جاهلي، وهذه مقومات الحياة لديهم، .. فما هو عُذر
شاعرنا - ربما الحالة السياسية.. في عهده!! كما تقدم عنها ص ٢١ -
^(١) سورة آل عمران، آية ١٣٤.

^(٢) ف.. في المثل: (قد يُدفع الشر بمثله، إذا أعياك غيره)
كما قال الشاعر:

وبعض الحلم عند الجهل للدلة إذعان وفي (الشر) نجاة.. حين لا ينجيك إحسان
- قال أحمد شوقي (في/ نهج البردة):
والشرُّ إن تلقه بالخير.. ضقت به ذرعاً، وإن تلقاه بالشر ينحسم
^(٣) النابغة الجعدي - رحمه الله -

^(٤) قيل إن "شارل ديغول" - الزعيم الفرنسي - أمر بكتابة هذا "البيت" على البارحة التي
تتقدم الجيش.

^(٥) .. يضرب المولى جل جلاله.. مثلاً فيمن ضلّ بعد هُدى أتاه: ﴿ذهب الله بنورهم

...

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
بالطبع لا ينتفع بنظره عند هذه الحالة!
بل لديه من الحكم الدُر، نَعْرَضُ بعضها.. ونُعَرِّضُ لبعضٍ منها:
- هذه الحكمة البالغة -

وليس يصح في الأفهام شيء^(١) إذا احتاج النهار إلى دليل
وقوله لسيف الدولة الحمداني:
لعل عتبك محمود عواقبه
لما...؟!!

فربما صحّت الأجسام بالعلل
- وهذه الحكمة شطر "بيت" .. -
بل قالها بنصف الشطر:
فالموت أَعذر لي والصبر أَجمل بي والبر أوسع.. "والدنيا لمن غلبا"^(٢)
وتعبيره.. هذا:

إذا أُنْتُكَ مَذْمُومِي مَنْ نَاقِصٌ^(٣) فهي الشهادة بأنّي كامل

....

وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴿ - سورة البقرة، آية ١٧ -

^(١) قال الإمام علي بن حزم الظاهري رحمه الله - ت ٤٥٦ - بعده:

وأثبت ما يكون الأمر يوماً بلا شك.. إذا صح الدليل

^(٢) استفاد أحمد شوقي.. من (المعنى.. والمبنى) لـ ينظم - حكمته -:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

^(٣) ..وأثرى هذا المراد "أزأك" بقوله: (إن نقائص العلماء.. هي عزاء التافهين!)

و.. قوله يصف أمّ سيف الدولة - وهو يرثيها -:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضّلتُ النساء على الرجال
.. وما التأنيث لإسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال
ونشره من سناء الحياة.. لمن:

تصفو الحياة لغافل أو جاهل^(١) عما مضى منها.. وما يتوقّع
ولمن يخالط الحقائق نفسه ويسوّمها طلب المحال.. فتطمع
أو كجميل تبدّعه.. هذا:

ومن نكد^(٢) الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته^(٣) بدّ^(٤)

(١) قال تشيكوف: "كلما ازدادت ثقافة المرء.. ازداد بؤساً".

و.. قال "مثل": (إن الإنسان الذكي أتعبُ حالاً من الذين أقل ذكاء..!).

كما قال شاعرنا:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشفقة ينعم^(*)
وقد قال أيضاً:

ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب
- (*) كان النجفي يقول:

ويا ليت للجهل (العميم) مدرّساً ليُرجع لي جهلي، فأصبح كالطفل
بليت بعقل جامح، لي متعب يفتش عن وعر، وينأى عن السهل!!
تمنيت، سجناً للعقول لألتجى له.. فبسجن العقل حرية الطفل -

(٢) النكد: قلة الخير.

(٣) .. لكن تصحيحاً الواجب أن يقول: ما من مداراته، إذ الصداقة تنشأ عن تبصّر

بالخليل، أما المدارة فهي دافع - أو غطاء - لحاجة تقضي بانقضائها، ويسند ذلك ما
-...

ونستطيع أن نقول - إذا رغبتا التصنيف - أن هذا البيت .. من حكمه
الخاصه.^(١) ... ك:

-...

ورد في الأثر (إنّا لنبشّ في وجوه أقوام، ونلعنهم في قلوبنا).

(٤) - من قصيدة في مدح (محمد بن سيار التميمي) - وكأنه ألهم القائل...:

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أخو اللؤم فيها، والكريم يخيب

(١) لأبي الطيب حكم "خاصة" تحدّرت من نفسيته، ومن تعمّقه بالذات، ومن تجارب

ومحاكاة لمسها فسلسل برويها بديع سبكه، مثلاً - وقد أسلفناها -:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً ليس له من صداقته (*) بد

فهي - هذه الحكمة - تلمس جزء من ذاتيته الشائخة، وما أحاجته لهذا النظم.

أيضاً.. /

ومن البلية عدل من لا يعوي عن غيّه ، وخطاب من لا يفهم

أو - وهذه أنكاء للمرارة -

ولا تزال قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال، ولو كانوا ذوي رحم

وهذا "التحذير":

لا يفرّك من عدوك دمعاً وارحم شبابك من عدوّ ترحم

وهذا "التنبه":

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يتسم

- والأجمل .. سابقه:

ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم -

... ومثله

لولا العقول.. لكان أدنى ضيغم أقرب إلى شرف من الإنسان

- الضيغم/ الأسد -

-...

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم^(١)
.. وهذا "التذكير":

وما ماضي الشباب بمُسَرَّد ولا يوم يمرّ.. بمُسْتَعَاد
بل.. هل هناك أجملُ إجمال.. من هذه:

ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قاته... وفضول العيش اشغال
.. أو هذا المنتهى الذي صدره.. من ذاق الأمرين:

أعزُّ مكان في الدُّنَا سرج سابح^(٢) وخير جليس في الزمان كتاب^(٣)

...=

.. وهناك أمثلة يصعب الإتيان على جلّها، لكنها - وهذا القصد - علّمت في شعره
(الحكيم بالذات) كما علّم بها عطاء ذا المُتَفَنِّين في أسلوبه، ونتاج قريحته، وسجية
ملكته.. إغناء لـ .. "ديوان العرب".

(١) قال (وليم بلايك): غالباً ما آلتني صداقتك...، فكن عدوّي باسم الصداقة -

(٢) سرج سابح/ يقصد ظهر الجواد. (كناية: عن خوض الحرب)

(٣) .. وقد سبقه أبو عمرو "الجاحظ" - في كتابه/ الحيوان - ت ٢٥٥هـ - في نشر حكيم
عن هذا.. الـ "خير جليس":

(..والكتاب وعاء مليء علماً، وظرف حشّي ظرفاً، وبستان يحمل في ردن، وروضة تقلب
في الزهر، ينطق عن المولى، ويتّرجم كلام الأحياء، ولا أعلم جاراً أبرّ، ولا خليطاً
أنظف، ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، وأمل حناية، ولا
أمل إملالاً وإبراماً، ولا أقلّ خلافاً وإجراماً، ولا أزهر في جدال، ولا أكف عن قتال
"من كتاب...").

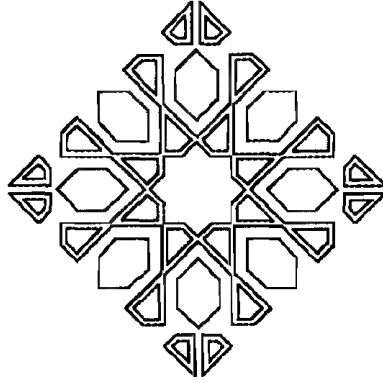
وقال (د. علي الطاهر): (الكتاب متعة... والحديث عن الكتاب متعتان!)

..قال الشاعر:

....-

..حتى ليخلص إلى:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف ليس المجد للقلم
ولعل القارئ يستزيد في الرجوع لديوان الشاعر المليء بين دفتيه
(حكّم).. لا ينتهي مشربها.



...-

ولي جلساء ما أمل حضورهم	الْبَاء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدونني من علمهم علم ما مضى	وعقلاً وتسديداً ورأياً مؤيداً
فلا رقية أخشى ولا سوء عثرة	ولا أتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلت: أحياء فلست بكاذب	وإن قلت: أموات فلست مفئدا

- متراجعاً -: واختصاراً نروي اعتراف شوقي.. حين قال:

أنا من يدل بالكذب الصحابا فلم أجد صاحباً مثل الكتاب

"أولوياته"...

١ / المجد:

أبو الطيب.. أراق الدموع السواكب على هدف "جلّ أن يُسمى":
ومن يبغي ما أبغي من "المجد" و"العلا" تساوى المحايّا عنده والمقاتل
وطوى زمانه لأجله، وتقلّب "في كلّ بلدة" لبلوغه، وفارق الأحباب
ليصل إليه^(١)..

حتى أسماء "حقاً" - قد سلب..، أو أُحيل بينه وبين بلوغه -:
سأطلب حقي بالقنا^(٢) ومشايخ كأنهم من طول ما لاثموا مرد
.. فكان.. في إنشائياته.. مدلول على البحث عنه، بذاتٍ.. يقصر في
عينها المدى المتطاوّل ويسهل في العدو إليه.. كل صعب:
ومن الناس من يرضى بميسور عيشه^(٣)!!

فانتهى إلى (وهم) كان يضمن به المرام، وإلى (سراب)^(٤) حسيبه ماء من

(١) .. فالشجاعة : لا تعرف المستحيل! - كما يقول الرئيس الأمريكي (روزفلت) -

(٢) القنا: السيف، ولكنه - كما يقول الواحدي - عنى به نفسه.

(٣) .. وألقى عبد الله بن خنيس مفلساً الحياة.. في:

ليس الحياة كما توهم جاهلٌ عيش الكفاف ومستوى محدودا
إن الحياة هي الصراع.. فكن بها أسداً يُصارع أذوباً وأمسودا

(٤) قال أمية بن الأسكر لابنه - ينشدُ القعود عن الجهاد لبره.. وقد هرم -:

فإنك والتماس الأجر بعدي كباغي الماء يبيع السرابا
-...

بعد.. قيعه، وإذا بـ(الحقيقة المرة)^(١) يقولها لنفسه:

تُرِيدِينَ إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل
ولم تكن - إبر النحل - عدا سلاح "فاتك الأسدي" الذي أطفأ شمعةً
احتُرقت^(٢) من أجل إضاءة^(٣) "ديوان العرب"^(٤)، ولم يلقَ - بعد -
"المعالي" التي استغرق.. خلفها!

٢ / الغرور:

..وتبع هذا الطلب "المجد والعُلا" الكبرياء والغرور، وهي من أولى ما
يُنعت به شاعرنا، ألم يقل:

أُطِعتُ عنك تشبيهي بما وكأنا فما أحد فوقي ولا أحد مثلي
و - بثقة لا حدود لها -:

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

...

- الإصابة (١/٧٩) لابن حجر العسقلاني -

(١) قال مارك توين: (الحقيقة: مثل النحلة في جوفها عسل وفي ذنبها إبرة).

(٢) كما وصف العباس بن الأحنف - نفسه.. - بـ:

صبرت كأنني ذبالةً نضبتُ تُضيءُ للناس.. وهي تحرق
(٣) ..قال أحد الفلاسفة:

هناك طريقان لنشر النور: أن تكون أنت الشمعة، أو المرأة التي تعكس هذا النور.

(٤) على وصف أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه، للشعر بـ "ديوان العرب".

قال ابن مشرف:

والشعر ديوان العرب وكم أنال من إرب

ثم.. يُغلق طُرق كل من يُريد انتقاظه - من حُصاده - بجهد أو بدون جهد، وأن مرامهم بعيد المنال - فليوفّروا تعبهم - :

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويُجهد أن يأتي لها بضريب^(١) لأن مكانته "السامية" لا تحتاج إلى دليل - على حدّ تعبيره..

فليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل .. أدرك أبو الطيب - بنظر النجيب - أن "المجد" المطلوب.. لا يبلغه إلا "سيّد فطن". وأنه بدون المشقة لـ "ساد الناس كلهم"، .. - لا جاهل..أو:

"كوارث.. جهلت يمناه ما كسبت.."- فامتطى "الشعر" سُلماً لبلوغ المجد، بعد أن بلغ إمارة الشعر - الوسيلة - حتى سما به الأمل وحده ذروته لـ "الإمارة والحكم"^(٢) التي هي "نفيس" أُمانياته من زمن بعيد،..

- أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل - حتى لو غيّر بالمنهج، ولو أن يتنازل عن جميع منازعه القومية السابقة، والسياسية الماضية.. لبلوغ (الولاية)^(٣)، ولو وجد ملجأ، أو مُدخلاً لآم إليه دون موارد لت تحقيق مناه!!

- وحاله مُستشهداً:

إذا كنت ترجو كبار الأمور فاعدد لها همّة أكبر -

(١) ضريب: مثيل.

(٢) .. كما قال "الأخطل الصغير": "طلبت بالشعر.. دون الشعر منزلة"... إلخ

(٣) .. كما قال "ميكافلي" - وإن كنّا لا نوافقه على هذا - : (الغاية تبرر الوسيلة).

فالأمل من هذا المؤمل "أن يكون أميراً يُمدح، لا شاعراً يمدح".
 على أننا لنحمد الله "المحمود بكل حال سبحانه" ^(١) أن هذا الفحل ^(٢) -
 شعراً- لم يبلغ ما عني أو ينل ما تمنى، ولم يتحقق له ما ترجى!
 .. وإلا لما ترك لنا هذه (الحِكم) النازفة من قلب.. تقلّب عليه تقلّب
 الأحوال، وتناقلت بين سواعده شتى المصاعب والأهوال، ودار عليه
 الزمن.. الذي لا يتغنى بموال..
 وقلة ناصر - جُوزيت عني بشر منك يا شرّ الدهور
 ولم تحظ لغة "الضاد" ^(٣) من نتاجه - على حاله... من تقلّب أحواله -
 بهذا الميراث الأدبي الخالد، الذي - برغم الهجوم على لغتنا في عهد

(١) .. منطبقاً علينا - بهذا الشكر لله على أنه لم يبلغ مأمله - قوله:

مصائب قوم عند قوم فوائد

(٢) الفحل/ الشاعر الذي يغلب كل شاعر يعارضه، أو يفضل عليه - (هامش "يتيمة
 الدهر" ١٤/١) -

(٣) هي لغتنا الأم، خرجت من الجزيرة واتجهت إلى الشام وفارس والهند ومصر... إلخ.
 قال - معروفاً - رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس، إن الرب واحد، والأب
 واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية
 فهو عربي) - أهمية تعلم اللغة العربية / ص ٥٠ - ٥١ ل (د. عبده بدوي)
 .. كتب محمد القوصي (قد ظل ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم قائماً، وكان الهدف
 الأساس من دراسة اللغة العربية هو فهم الدين فهماً كاملاً، والوقوف على معانيه
 باعتباره وسيلة إلى فهم الأحكام الشرعية، وقد أكسب هذا الارتباط تلك اللغة نوعاً
 -...-

الاستعمار^(١) - ظل صامداً...، ومضى كل فاه طالها - وقد حفظها الله
 "بالقرآن الكريم" - بسر وال خييته خامداً.
 و.. لنعيد ما قاله: مصائب قوم عند قوم فوائد
 إذاً.. مصائبه عند أهل اللغة والأدب... وذوآق القريض (فوائد..)!
 ٣ / التقتير:

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وكان الإنسان قتورا﴾^(٢)

...

من القداسة التي للقرآن، وأصبح الحفاظ عليها حفاظاً على القرآن، والتفريط فيها
 تفريطاً في القرآن) ص ٩ - من كتيب المجلة العربية عدد (٥٢)
 -.. وأيضاً: فالحق ما شهدت به الأعداء، قال (قال ورل): إن اللغة العربية لم تتقهقر قط فيما
 مضى، أمام أي لغة من اللغات التي احتكت بها.. إلخ - المصدر السابق ص ١٢
 .. ومع هذا، ف/ هل تعلم (أن عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهملة (١٢،٣٠٤،٣٢١) إثنا
 عشر مليوناً من الأبنية، وثلاث مئة ألف، وأن عدد الألفاظ العربية (ستة ملايين وست مئة
 وتسعة وتسعون ألفاً).. لا يستعمل منها سوى (٥٦٢٠) لفظاً، والباقي مهملة!! - كتاب
 "العين" للخليل بن أحمد -.. مرجع سابق ص ٧-٨

^(١) وذلك - حينما رماها المستعمر بالقصور، وعدم الكفاية.. إلخ وقد هبّ - مع من
 هب- (حافظ إبراهيم) - منافحاً وذائداً، على لسانها:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظمت
 .. أنا (البحر) في أحشائه الدرّ كامن فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي؟

^(٢) الإسراء، آية ١٠٠، ولنعرّف بأن ذلك مما جُبلت عليه النفس البشرية..، كما جُبلت
 على أشياء.. كمحب البقاء والخلود مثلاً، والذكر - أو.. / العمر الثاني.. كما يزعم
 أحمد شوقي - (انظر ما تقدم ص ٥١ هامش ٤)

.. قد تكون "معضلة" أبي الطيب أنه لم يُولد وفي فمه - كما يقال

بالمثل - (ملعقة من ذهب)^(١)،.. ولأنه يعلم - علم اليقين - أن:^(٢)

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله^(٣) ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده^(٤)

(١) - قال الأول - معرباً -:

إذا ورث الجهال أبناءهم غنى وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء -

(٢) ولهذا - ما يناسب - قول.. أهل ذا التفنن:

قيل: ليس من خِلة للغني مدح إلا وهي للفقير عيب، فإن كان الفقير حليماً قيل بليد، وإن كان عاقلاً قيل مكار، وإن كان بليغاً قيل مهذار، وإن كان ذكياً قيل لئيم، وإن كان صموتاً قيل غبي، وإن كان متأنياً قيل جبان، وإن كان عارفاً قيل متهور، وإن كان جواداً قيل مسرف، وإن كان مقتصداً قيل بخيل.

قال ابن كثير:

والويل للمرء إن زلت به القدم	الناس أتباع من دامت له نعم
حيّ كمن مات، إلا أنه صنم	المال زين، ومن قلّت دراهمه
والكلّ مستتر عني ومحتشم	لما رأيت أخلاقي وخالصتي
أذنبت ذنباً؟ فقالوا: ذنبك العدم!	أبدوا جفاءً وإعراضاً، فقلت لهم:

(٣) قال أحد الشعراء معرباً عن ذلك:

شفتاه أنوع الكلام فقالا	من كان يملك درهمين تعلّمت
ورأيت به بين الورى مختالا	وتقدّم الإخوان فاستمعوا له
لرأيت به أسوأ البرية حالا	لولا دراهمه التي في كيسه
قالوا صدقت وما نطقك محالا	إن الغني إذا تكلم بالخطأ
أخطأت يا هذا وقلت ضلالا	وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم
تكسو الرجال مهابةً وجلالا	إن الدراهم في المواطن كلها
وهي السنان لمن أراد فصاحة	فهي اللسان لمن أراد فصاحة

فإذا (المجد) من أعمدة تشييده "المال" ^(١)..، قال (أحمد شوقي):
 بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ^(٢) لم يُبن ملك على جهل وإقلال
 لذا/ فقد بحث عنه ك"من أضاع في التُّرب خاتمه" ^(٣) لماذا؟
 إذا لم تجد ما يبتر الفقير.. قاعداً فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
 و.. للجواب على هذا السؤال.. يجدر بنا أن نبسط بالتالي: ^(٤) -إيراد..
 أو تذكر لحادثة جرت له في "الكوفة" - وهو غلام - رواها البديعي في
 "الصبح المنبي" خلاصتها:

....
^(٤) - أو قول الآخر:
 فالمال فيه تجلّة ومهابّة والفقر فيه مذلّة وفضوخ
^(١) .. كما قال تعالى ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الكهف، آية ٤٦، وقال صلى الله عليه
 وسلم (نعم المال الصالح للرجل الصالح) ..، قال عروة بن الورد:
 ذريني للغنى أسعى فيأني رأيت الناس شرهم الفقير
 وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير
 ويعده القريب وتزدريه حليته ^(*) وينهره الصغير
 - ^(*) أي: .. زوجه

^(٢) قال حكيم العرب (قيس بن عاصم):
 المال منبهة شهرة الكريم، ومغنى عن مسألة اللئيم، ثم قال: المسألة/ آخر كسب الرجال.
^(٣) على تمثيله - هو - ، .. قال ابن فروجه:
 (لم يكن فيه ما يُشينه ويسقطه، إلا بخله وشره على المال) - سفر المتبي لمحمود شاكر/ ص ١٦٥ -
 فـ/ كفى بالمرء نبلاً أن تُعدّ معاييه
^(٤) سرد.. لخلفية ذا "التقتير" لدى الشاعر.

(.. أنه أراد أن يشتري بطيخاً من بائع، فلما ساومه على الثمن سبه البائع واحتقره. ثم جاء تاجر غني فرحب به البائع وباعه البطيخ محمولاً إلى البيت بأجنس مما عرض عليه المتني. ولما رجع كلمه المتني في ذلك فقال: اسكت، هذا يملك مئة ألف دينار. فوقع في نفس شاعرنا ذلك الحين حب المال والحرص عليه وأن الناس لا يحترمون غير صاحبه).^(١)
نعود لنجيب عن السؤال السابق:

عاش المتني فقيراً في عهده الأول، وذاق بذلك العهد ألم الحرمان^(٢) وأيضاً ذل السؤال،^(٣) - حين قُدر^(٤) عليه رزقه-، ورغم اعترافه من بعد أن:
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر، فالذي فعل الفقر
.. إلا أن بصمات ذلك العهد "الأول" ظلت تلعب بمخيلته، وتتجاذب إليها الوهم - أو الخوف الداخلي - "بعودته"..
فأصبح رغم عزّة النفس والكبرياء والشموخ الذي يراه لنفسه -أو يصبغه عليها- .. يتمسك بالمال حتى آخر عهده.^(٥)

(١) الصبح المنبي ١ - ٨٣.

(٢) كما قال من سبقه:

دعيني للغنى أسمى، فإنني رأيت الناس: شرهم الفقير

(٣) قيل بلغ ممدوحه بالعهد الأول من حياته ٤٠ ممدوحاً.

(٤) أي.. / ضيق.

(٥) راجع رواية مقتله - مع ضعف سندها - والتي أثبتها ابن رشيق في "العمدة" ج ١ ص ٧٥-

ولو أعطى (أبا مُحسَدٍ) سُنةً لناصح، لقلنا له - تذكيراً وبجليٍّ ممن أتى بعده^(١):-

هوّن عليك، وكفكف دمعك الغالي .. لا يجمع الله بين الشعر والمال^(٢)
إلا أنا لا نرى ذلك عيباً فيه "إذا فُسّر ذلك علمياً" ..!
فكلُّ يبحث عما ينقصه^(٣)، فأبو الطيب طلب الجد "الإمارة" وليست -
هنا- تنقصه، بل يطمع بها.. لما يرى من تملك الفرس والأتراك دُقة
الأُمور في الدولة العباسية^(٤) ..

(١) كما قال الآخر:

رضينا قسمة "الخلاق" فينا لنا علم وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم ليس له زوال
(٢) كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى الخليفة المنصور يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه..
وأبلغ في كتابه، فوقّع المنصور في القصة: إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعنا في رجل
أبهرتاه.. وأمير المؤمنين يشق عليك من ذلك.. فاكتمر بالبلاغة!
- قيل لحكيم: ما الذي يحل العضلات؟، قال: الدرهم والدينار.

فالمال.. هنا تسيير لمعضلة معسرة.. وقدماً قيل في النقود:
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السنان لمن أراد قتالا-
(٣) .. ألم يقل أهل الفلسفة - في اختيار المحبوبة - إن الحبيب وجد بها ما يكمله، أو عثر
على ما ينقصه لديها.

لذلك يصوّر الشاعر مقام (حبيته):
كَأَنَّكَ جِزءٌ مِنْ حَيَاتِي أَضَعْتَهُ فَلَمَّا التَّقِيْتُكَ اهْتَدَيْتُ إِلَى أَصْلِي
(٤) .. وقد أومأنا لشيء من المقصد - فيما تقدم ص ٢١ وص ٢٢ -

فكيف لا يُحرّك ذلك (ساكناً) من نفسيته "المعبأة بالعصية العربية الجعفية، المُحدّرة من السلالة اليمانية"، فلا يخمد ذلك المطلب.. حتى لقي الفارس العربي "سيف الدولة"، فإذا فارقته.. يعود طالباً الإمارة - كما في عهده عند كافور -

إلا أن القصص - بعضها - التي رُويت عن بخله لا تحمل وزن الثقة الكاملة، ليس لأن شاعرنا ذم البخل فحسب... بل: وأسرع مفعول فعلت تغيّراً تكلف^(١) شيء في طباعك ضده فإذا كيف يذم البخل ثم يبخل^(٢)!، فلا جواب لمن صحّح كل ما قيل من قصص بخله - التي قد تكون.. تحت ذريعة:

إنما تُنجح المقالة في المرء إذا وافقت هوى في الفؤاد.. - فهو إن بخل ليس حباً في المال، وإنما "حذاراً من الخطوب"^(٣) آمن ما يكون المرء يوماً إذا لبس الحذار من الخطوب^(٤)

(١) تكلف: خير أسرع.

(٢) قال بعض أهل الأدب (البخيل: ليس له خليل).

(٣) ذكر الجاحظ - في البخلاء - أن (أحيحة) وهو من سادات الأوس - قبل الاسلام - قال في جمعه للمال..

ولو أني أشاء لنعمت بالأل
وما زحتني على الأنطاع غيلاً
.. ولكني أهبطُ لجمع مالٍ
فأمنع بعد ذلك أو أنيل
ولعل المتنبي أوضح هنا - المراد الآخر.. من الإمساك -: وما كلّ على بُخلٍ.. يُلام!

إلا أن ذلك لا ينبذ عنه العتاب حول ما عليه يُعاب، أو "يَسْتوهمه" مُحبّه فيه، (فالمسلم مرآة أخيه المسلم):

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحّت الأجسام بالعلل
ف - بخله - فعل الحذر..أو "الخائف من الخطوب" .. التي جربها وذاق
ألم الحرمان والفاقة، فخاف عودتها، ولربما تبخل^(١) ولم يبخل^(٢)..!

ولعل -.. أخيراً - المال (المجد) إن عزّ عليه المجد...،^(٣)
وأتعس خلق الله من زاد همّه وقصر عما تشتهي النفس وجده
وإلا فإن هناك ما يُسعد.. إن لم تُسعد الحال...، كما قال:

...
(٤) ليس موجوداً هذا البيت في الديوان.

(١) ونرى.. من رصانة شعره.. ما قال بعض أهل الأدب:

(أفضل ما استعان به الشاعر فضلُ غنى، أو فرط طبع..، ذلك أن الشاعر إذا صنع
القصيدة وهو في غنى.. وسعة، نقحها وأنعم النظر فيها على مهل...، فإذا كان مع
ذلك (طمع) قوي انبعاثها من يَتْبوعها..)

(٢) قال الخليل بن أحمد - رحمه الله -:

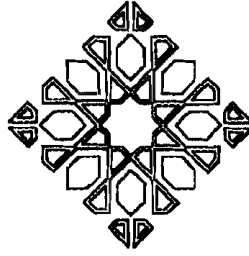
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حول محال
والفقر في النفس، لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
وأسمى من ذلك، التوجيه النبوي، قال صلى الله عليه وسلم: (أحسن من أسلم ورزق
كفافاً وأغناه الله).

(٣) قال محمود شاعر - رحمه الله -:

وفي المال عَوْنٌ على مثلها وفي البؤس هَوْنٌ وذلٌّ وقُلّ

- لا خيل عندك تُهديها ولا مال - فليسعد النطق إن لم تُسعد الحال^(١)
..أو/

ليكن لديك لسائل فرج أو لم يكن.. فليحسن الرد
على أننا نشاطره الرأي بقوله:
وما كُلُّ معذورٍ ببخلٍ ولا كُلُّ علىٍ بمخيلٍ^(٢)



(١) أخذ أحد الحكماء هذا المعنى..فثره:

"إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليظل لسانك بالشكر".

ونظم صفي الدين الحلبي:

إن قصّر لفظي فإن طولك قد طان ما من فعل البرّ والجميل.. كمن قال -
وقد تشكّ أن المتني أخذ من مبنى عجز البحري:

فليت ذاك الحبيب ماعفنا وكان وصل، إن لم يكن مال -

(٢) ..أو لتأخذ الجانب الآخر - من نوع البخل-، حين تعجّب الحارث بن عدوان التغلبي!

من عتاب خليلته بـ: (وكيف يُعيب بمخيل.. بمخيلا)

مع التذكير في البين بين المراد...

هو.. و"الإمارة":

- وحيد من الخلان في كل بلدة - ..إذا عظم المطلوب قلّ المساعد
نقول / ..ربما خانه ذكاؤه - الجاف - لعدم استخدامه له.
ف (لو^(١)).. مثلاً نسي علويته^(٢) "النسب لعلي رضي الله عنه"..
أو: لأن^(٣) لمن حول "بدر بن عمار"..
أو تنازل عن بعض الشموخ - الذي لم يكن لمعظمه داعٍ - والغرور عند
سيف الدولة، ليكسب -..على الأقل - نُدبائه..
أو مثّل على كافور - وهو قادر على ذلك - أبين تمثيل،.. لربما نال
مطلبه، وبلغ أربه، لكن كما قال هو:

(١) -..مع التذكير/ بأن "لو" تفتح عمل الشيطان! كما في الحديث الذي رواه مسلم
(رحمه الله) في صحيحه -

(٢) وعلى هذا عبّر عن الصول.. لذلك بـ:

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخ لطول ما التثموا كأنهم مُردّ
(٣) اللين سلاحٌ قليل من يدرك مدى مفعوله، كما في معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن
الله رفيق يحب الرفق) رواه البخاري،.. وقد قال الراجز:

بُنِيَّ إِن السِّرَّ شَيْءٌ هَيْن وَجَّةٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَّيْن
والمثل الهندي (السيف يقتل مرة، واللفظ يقتل مئة مرة).

بل إن شاعرنا يدرك هذه المعاني،.. بقوله لأمره الحمداني:

ترفق أيها المولى عليهم إن الترفق بالجلاني عتابٌ
أو قوله:

وما قتل الأحرار.. كالغزو عنهم.. إلخ..

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده
لهذا لم يقل من فراغ - أو للنظم.. فقط - :

وفؤادي من الملوك ، وإن كا ن ، لساني يُرى من الشعراء^(١)
بل كان يعي ما يقصد.. ويلمّ بما يرمي له، عند إذ قال كافور - بعد
فهم وإدراكٍ لرمى هذا البيت في نفس المتنبي:-

(من يدّعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم.. ألا يدّعي الملك بعد
كافور .. فحسبكم).^(٢)

و"المتنبي" استخدم ذكائه بكل حاجة.. سوى أعزّ المنى^(٣) "الإمارة".
ف... هل يضيره أن يلقي بلسان معسول ووجه بشرٍ مبذول -على
الأقل- ليصل إلى الهدف؟!، أما قال "مُخاطباً ذاته":
تُرِيدِينَ إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشّهد من إبر النحل
فلا يجب أن يستنكف^(٤).. ليلبغ المأرب، وينال المطلب...، ويحظى بما
يرغب..

^(١) .. وأخذ نزار قباني.. باطن هذه النفحة بقوله:

لا يـوس الـيـديـن شعري.. وأحـرى بالـسـلاطين أن يـوسـوا يـديـه

^(٢) على ما في هذه الرواية من ضعف - لأن سندها بالنبوة ضعيف (انظر ما تقدم ص ٢٤

هامش ١) - ، إلا أن ذكرها ميلاً على ما وُصم به "الشاعر".

^(٣) يقول "كنجلي": بعض الرجال لديهم جميع المواهب، .. ما عدا موهبة استعمالها..

والانتفاع بها - أي تلکم المواهب! -

^(٤) .. أو يتكبر.

أبا المسك^(١).. هل في الكأس فضلٌ أناله فإني أغني منذُ حين.. وتشربُ
 إذا لم تُنطِ بي ضيعة أو (ولاية) ..فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ
 ألم يَسْطع صبراً على (إبر النحل) - كما مثّلها - للوصول.. إلى المعالي^(٢)؟
 ..لنعد "تفسيراً" لنفسه التي لم يُحمّلها -حتى- وخز إبر النحل ليلغ
 مناه، الذي صال وجال - وأنشأ الأمثال -.. عسى أن يتقلّده:
 أولاً:

المتنبى يميز لنا أن نقول - ومما تقدم - "بالتعبير الشائع" أنه مُعَقَّد^(٣)..، كيف؟
 .. بقراءة أي كتاب عنه - ..بل من معظم الشكوى في شعره^(٤) -
 يلمس القارئ بوادِر ذلك!
 فهو إنسان مُتعالٍ يبحث عن المعالي - الإمارة - بلا مُصانعة.. كما قال
 زهير - في حكمه - :

ومن لم يُصانع^(٥) في أمورٍ كثيرة يُضرس بأنياب ويوطأ بمنسم^(٦)

(١) يعني "كافور".

(٢) قال "قوقارس" مُعرِّفاً: (الصبر.. هو فن التثبيت بالآمال).

(٣) ..اعترض يادب.. الأديب عبد الله خياط - عكاظ عدد ١١٨٤٢ - على وصفي:

"عقده" - في (الطبعة الأولى)-، وأسماء طموحاً.. ثم استشهد بقول (ابن ميادة):

منى إن تكن.. تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زماناً رغداً

(٤) - ألم يملأنا، ويولمنا.. به قوله:

ألا ليت شعري، هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها.. ولا أتعيب؟

(٥) أي: يداري.

.. حتى إنه أحياناً يهدم بعض ما يبني^(١) - وبالتأكيد دون أن يدري -..^(٢)
فمثلاً عند "كافور" .. يمدحه باللفظ ويهجو به بالمعنى^(٣)، وهذا إدراكاً
متشبع من قوله:^(٤)

...

^(١) فما البال .. وهو يطلب الإمارة... ألا من الأحرى كل المصانعة.. هنا.

فكما قال أحمد شوقي: (وما نيل المطالب بالتمني)!!

^(١) فهو - كأقرب وصف لحاله - : كالمُنبتِّ، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى (.. كما جاء
في الحديث).

^(٢) وليس استخفافاً بذكائه، أو تقليلاً من دهائه... بل ربما يغلبه اعتزازه بذاته، أو يطغى
عليه كبريائه... ونفحات افتخاره.. التي لا تفارقه - انظر ما تقدم (ص ٧٠) وما بعدها -

^(٣) لذلك يقول ابن جني - من رواة شعره - :

قلت للمتني ما زدت إن جعلت كافور الإخشيدي أبا زنة (وأبو زنة كنية القرد) فضحك
المتني ولم يقل شيئاً، أي أنه وافقه!!

وقد قال التوحيدى وابن جني وابن الخطيب من أن المتني يهجو كافور في قصائده التي
يضمها مدحاً... من ذلك:

وما طربى لما رأيته بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأترب
-.. والملوك لا يمدحون بأن الإنسان إذا لقيهم طرب..، لكن بالهية والتقدير.!

وانظر في القصيدة الأولى قوله: - تجد/ يمدحه باللفظ ويهجو بالمعنى! - :

قضى الله يا كافور أول وليس بقاضي من أن يرى لك ثاب
^(٤) من قصيدة يذكر بها خروج (شبيب) ومخالفته كافوراً:

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
- قال العكبري في شرح هذا البيت: القمران: الشمس والقمر، تغليباً لأحدهما على
-...

وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان
رغم علمه بدهاء كافور، وإدراكه لذاك الهجاء^(١) - أو لنقل السلاح^(٢) -
ثم يتمنى منه الولاية..

وفي النفس حاجات وفيك فطانةً سكوتي بيان عندها.. وخطاب
ولم يقف عند هذا..^(٣)، بل حينما قدم أبو شجاع استأذن من كافور

...

الآخر، كقولهم: العمران، أبو بكر، وعمر بن الخطاب. والمعنى: قال الواحدي،
يقول: من عاداك دل على جهالته، وسقطت منزلته عند الناس، وعاداه كل أحد
وذمه، ولو كان من أعدائك القمران، لصارا مذمومين مع عموم نفعهما -

^(١) كقوله في قصيدة "الحمى" - وهو في.. كنفه -

ولما صار ود الناس خباً جزيت على ابتسام.. بابتسام
وصرت أشك في من أصفيه لعلمي أنه بعض الأنام
وبسط مراد البيت الأول... قول ابن رشيق:

رُبَّ تقصيبٍ من غير بغض وبغضٍ كامن تحت ابتسام
^(٢).. ألم يعترف بذلك - فيما بعد - بقوله.. وشعراً قد مدحت به "الكركدن" الخ

وقد فسر البحري - من قبل - هذا المنح:

ولم أحابك^(*) في مدح تكذبه بالفعل منك، وبعض المدح من كذب
^(*) أي: أسايرك.

^(٣) ولعل الأدهى من كل ذلك، رمي الشاعر - في أول لقاء مع كافور - بهذين البيتين^(*)..
حزناً ولوعة وحرقة على فراق الأمير الحمداني - دون وزن.. لمقام هذا "الحاكم":

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تميتها لما تميت أن ترى صديقاً فأعياء.. أو عدواً مداجيا

...

بمدحه^(١) وهذه سقطة من الشاعر^(٢).

وعودة إلى قصة مدح أبي شجاع (فاتك المجنون)،^(٣) يُستنتج منها عدم رضا كافور منه.. ولا يُعذر أبو الطيب لأنه يأس من نيل المطلب، فهذا

...

- (*) وما يذكر به البيتان إلا بقوله تعالى - على لسان أهل النار -: ﴿يا مالِك ليَقْضِي

علينا ربك.. الآية﴾ أي يتمنوا من شدة العذاب "الموت".. وما هم ببالغيه -

وإن كان - اعتذاره الخفي - ما أجاده في ختام القصيدة (السالفة):

وتحقّر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيّا

وهذا - أديباً - يُعتبر قلة أدب في التعامل مع "لكل مقام مقال"

- ولهذا.. فقد زجر عبد الملك بن مروان شاعره "جرير" - مع أنه كان يُخاطب نفسه -

حين قال:

أتصحّو أم فؤادك غيرُ صاح

إلا أن أبا الطيب عاد.. - بعد - لينشئ..

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم.. ومن يممت خير ميمم

(١) مطلع القصيدة:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

-.. ويذكر هذا الإنشاء بقول سليمان ذي الدمنة:

ومن لا يؤاتيه على الجود وجده فإن جميل القول) إحدى المحامد

بذلك أوصاني أبي عن جدوده وأوصوا بذاكم عن بكيل وحاشد -

(٢) - فإدراك المقصد/ أن يستأذن، يُفهم المراد من قول: "سقطة" (*) -

(*) ..بالطبع/ إذا صحّ ما ذهبنا إليه.

(٣) وفاتك - هذا - رومياً أُسر في فلسطين، وأخذه "كافور" من سيده بـ "الرملة".. وقربه إليه،

وجعله في بطانته ثم خافه لما رأى من شجاعته، وكرمه، وإقبال الناس عليه..

....

إن كان حقيقياً في نفسه..، لا يجوز له مدح من لا يريد كافور أن
يمدحه..

فالأصل أو لنقل: لو أن أبا الطيب استخدم فطنته فمدح أبا شجاع ضمن
سياق يكون مبنياً بمدح كافور - لأنه شاعره - على الأقل أمام الجمع..
ليحظى بتقدير الأمير لشخصه، ويسوغ عندها الطلب..، فإذا كان كافور -
كما قال المتنبي - أدراك الملك، بـ (أيام يُشَبَّن النواصيا^(١))، فكيف وشاعرنا
مثله لم يرث شيئاً!، يستكثر.. "الصبر" فقط^(٢).. دون المأرب^(٣).

...-

قال شاعرنا - يرثيه -:

أين منيته من بعد منيته	"أبي شجاع" قريح الغرب والعجم
.. لا فاتك آخر في مصر نقصده	ولا له خلف في الناس كلهم
- ولما لا..!، ألم يقل .. فيه:	
قلّك الحمد حتى ما المفتخر	في الحمد حاء ولا ميم ولا دال -
(١) وليس كما قال الآخر:	

ما زال يسبق.. حتى قال حاسده: له طريق إلى العلياء مختصر
أي أن الحساد يريدون طمس هذا السبق ونسبته إلى سهولة أو يسر الطريق،.. لا إلى
سالك الطريق.

(٢) .. فهل غاب عنه قول أمية بن أبي الصلت:

اصبر النفس عند كل ملهم	إن في الصبر حيلة الخصال
(٣) أين قوله - مخاطباً مهجته -:	

تريدين إدراك المعالي رخيصة	ولا بد دون الشهد من إسر النحل
----------------------------	-------------------------------

ثانياً:

الغرور - العظمة - الكبرياء..^(١)

- أين فضلي إذا قنعت من الدهر بعيشٍ مُعجَّل التَّكيد -
النفس الأبية.. التي كأنها من سلالة إمبراطورية ينتظر دوره.. بولايتها..
أما غرور المتشي فهذا لا يُختلف عليه كثيراً، إذ هو بادٍ: من قول أبي فراس
الحمداني^(٢) له.. "ومن أنت يا دعي كُتله" - كمثال حيٍّ وكافٍ على غروره-^(٣)
..أما (الكبرياء) فيكفي "شاهداً" بيته البارز كبرياءً:

أبدو.. فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
فهو لم يقف على "الصفح" الذي من شيم المحسنين^(٤)، بل بدأها بسجود
"المعتذر" ثم يتبع صفحه استهانة بمقام ذلك المعتذر..، وإهواناً له..

^(١) وقد توعّد رسولنا صلى الله عليه وسلم "العائل المستكير" -العائل: الفقير- بـ وعيدٍ
شديد. حيث قال:

(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكّهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ
زان، وملكٌ كذاب، وعائل مستكير). رواه مسلم.. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٢) مع أنه دافع قول (أبي فراس) هو من باب/ المنافسة - أو تماثل المهنة - انظر ما تقدم
هامش (١) ص ٨٣ -..وذلك جواباً على قوله:

(أنا) الذي نظر الأعمى إلى أدبي.. إلخ -

^(٣) راجع ميميته الشهيرة "عتابه لسيف الدولة".

^(٤) قال إمامهم حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم - من حديث (أوصاني ربي) -:

(...وأن أعفو عن ظلمي، إلخ).

ثم يُقِيم (ذاته)^(١) .. مِمَّن ذمّه .. بالنقص :

وإذا أتتك مذمتي من (ناقص) فهي الشهادة لي بأنني كامل
وبعد كل هذا يؤطر هذه "القاعدة":

خليلك أنت .. لا من قلت خلّي وإن كثر التجميل .. والكلام
وأما عظمته .. فمن تمجيدته لذاته^(٢) يتضح تعاضده .. كقوله:

تغرّب لا مُستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً
و.. النفس "الأبية":

ليس التعلل بالآمال من أربي ولا القناعة بالإقلال من شيمي
و..:

ذلّ من يغطّ الذليل بعيش ربّ عيش أخفّ منه الحمام
و..:

يقولون لي: ما أنت في كل بلدة وما تبتغي؟ ما أبتغي جلّ أن يُسمى
ثالثاً:

لا يستقر على حال أو على مبدأ يصول من أجله أو يسعى لنيله.
- أو على قاعدة:

أتمنى أني لا أتمنى فلقد بت بآمالي مُعنى -

(١) .. قالت العرب: ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

(٢) /...

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمر مُنير

فساعة يدّعي العلوية..^(١) ويُطالب بها - حتى نُفّر من دخول الكوفة^(٢) -
- ما كنت أوّل من جنب ركائبه شوقاً.. وفارق إلّفاً غير مختار -
وساعة يُطالب عودة الملك "للعرب"، ليستعيدوا عزّتهم.. وأخرى
يُطالب بولاية أو إمارة.^(٣)
رابعاً:

الحزن.. البكاء^(٤).. الحرقه.. كلها بمعنى واحد، وذات دلائل متوحّدة في ذاته^(٥)..

(١) النسب لعلي رضي الله عنه.

(٢) راجع أسباب منعه دخول الكوفة حين رغبت جدته رؤيته، ولعل رثاءه لجدته مضمور به شيء من ذلك، بل.. وقال عمّا أصابه بسبب ذلك:
أذاقني زمني بلوى شرقت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا
وأيضاً:

سأطلب حقّي^(*) بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مُرد
(*) وهذا الحق: هو "انتسابه للعلوية" - كما أسلفت.. أعلاه -
.. ونسمع ترنيمة - بعد تجاربٍ أخذت منه ما أخذت ! - مُعترفاً..

حتى رجعت وأقلامى قوائلي: الجحد للسيف.. ليس الجحد للقلم
(٣) أقل.. القليل بنظره لهذا المطلب "الأخير". كقوله لكافور:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن ، لساني يُرى من الشعراء
(٤) - وكان أبو فراس.. يعبر عن كامنه حين قال:

إذا الليل أضواني.. بسطت يد الهوى وأذلت دمعاً من خلّاتقه الكبؤ -
وقال أبو سلمى - .. كأنما يعنيه -:

كيف تبكي، وهل هناك دموغ ذهب الصحب والهوى.. والريغ
(٥) كقوله.. مخاطباً (عهده):

وعندي دموع لو بكيت ببعضها لفاضت بحور بعدهنّ بحور^(١)
.. ولذا / رمى هذا البيت:

أذاقني زمي بلوى شرقت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتجبا^(٢)
ولو أردنا .. أن نستلهم له مبرر - عن هذه المعاناة - لأخذنا قول
محمود سامي البارودي - في محنة نفيه - مُعبراً:
عناءً ويأس، واشتياقٌ وغربةً .. ألا شدّ ما ألقاه في الدهر من غبن
(وقفة):

-.. ومن وراء.. ماسبق- تحكم بحياة شاعرنا شيثان مهمان:

١/ ثورة داخلية في نفسه تدفعه إلى نقد كل شيء^(٣) - بدون مبالغة -
بنظرة ومقياسه "لهذا الشيء المنقود".

....

عدوّي كلّ شيء منك حتى خللت ألاكُم مَوْغرة الصدور
^(١) أبو بكر الشبلي.

^(٢) ..وتجده من بعد.. يُنشئ:

وقلّة ناصِرٍ جُوزيت عني بشرٌ منك يا شرّ الدهور
- أوضح "العكيري" بأنه دعا على دهره، وهو زمنه الذي لم يجد فيه من الناس من يعنيه
ويساعده على ما يريد، بأن يتلى دهره هذا بدهر أحسن منه وأشر.

لكن نبين: أن سب الدهر مذموم كما سيأتي - هامش ٢ ص ١٣٠-، إنما العذر الذي
نجده/ ربما يقصد ظروفه، وتقلّب أحواله... إلخ.

- حتى قال...: (١)

قُبْحاً لَكَ يَا زَمَانُ (٢) فَإِنْ لَكَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ قِيحٌ يَرْقَعُ.. -

٢ / حَقْدُهُ.. مِنْ مَآذَا: رُبَّمَا مِنْ حَالِهِ وَوَضْعِهِ، أَوْ مِنْ تَسَبُّبِ بِهِ!!

..وَلَوْ بِالْغِنَا لَا سَتَعَرْنَا لَهُ قَوْلَ الْمُعَرِّي:

هَذَا مَا جَنَاهُ عَلَيَّ أَبِي، وَمَا جَنَيْتَ عَلَيَّ أَحَدٍ

فَهَا هُوَ ذَا يَزْفِرُ.. بِمَبَالِغَةِ - كَعَادَتِهِ -:

مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقُ.. فَإِنِّي مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئاً يُحْمَدُ (٣)

...

(٣) أَلَمْ يَقُلْ - كَأَنَّهُ يُثَبِّتْ -:

تُخَالِفُ النَّاسَ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شُجْبٍ، وَالْخُلْفُ فِي الشُّجْبِ (*)

فَقِيلَ: تُخَلِّصُ نَفْسَ الْمُرءِ سَالِمَةً، وَقِيلَ: تُشْرِكُ جِسْمَ الْمُرءِ فِي الْعَطَبِ

(*) الشُّجْبُ: الْهَلَاكُ -

وَهَذَا مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ طَرِيقِ الشُّعْرِ إِلَى طَرِيقِ الْفَلَسَفَةِ - كَمَا قَالَ الثَّعَالِيُّ - "الْبَيْتِمْة"

١٧٢/١ - ..، وَانْظُرْ (ص ٧١) أَمْرَاءَ الشُّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ لَ (أَنَيْسُ الْمُقَدَّسِيِّ).

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي رِثَاءِ "فَاتِكِ الْجَنُونِ".

(٢) وَيَعْلَمُ الْمُسْلِمُ أَنَّ ذَمَّ الزَّمَانِ مِنْهُيٌّ عَنْهُ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ) الْحَدِيثُ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(٣) وَمَعْنَى الْبَيْتِ فَسَّرَهُ أَحْمَدُ شَوْقِي.. بِقَوْلِهِ:

يَا نَفْسُ دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مَبْكِيَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا خَسَنٌ مَبْسُومٌ

و.. التفات على بعض "دُرره"^(١)

مدخل:

... "الشعر/ فن المتنبي الخاص"^(٢)..، به ارتقى سلّم التاريخ،^(٣) وعن طريقه أظهر مواهبه، وكان مُعجباً به ومعتداً بأهميته، شغله عن بقية الفنون، واستهلك أكثر نشاطه العقلي والجمالي، ولم يعتبر نفسه حين استغرق فيه مُستهلكاً... في أمر تافه قليل الاعتبار، بل اندفع إليه بحماسة قليلة النظر، وأدرك ماله من أثر على حياة الناس وتفكيرهم، فكان يُشبه شعره بالشمس المضيئة للكون.. كما سَمّى قصائده بالشُّرد الخالدات^(٤). ولعلّي.. أُطلع القارئ على ما يحسن له الإشارة.. من بعض ذلك

^(١) بين درر المتنبي التي علقت في الذاكرة حين الاطلاع المتكرر على ديوانه.. تفتقت عن هذه "القراءة".

^(٢).. قال في مستهل لقائه بـ "سيف الدولة":

- فجتتك لا ألوي على أحدٍ - أخت راحلتي: الفقير، والأدب!

^(٣).. بل هو الذي عرفنا بشخصه، و.. عطف بذائقتنا.. إليه، وصدق ابن الوردي:

قيمة الإنسان ما أحسنه أكثر الإنسان منها.. أو أقل!

^(٤) كتاب "المحصول الفكري للمتنبي" لـ/ سهيل عثمان، ومنير كنعان، ص ٣٢٢.

وإن كان المتنبي سَمّى شعره بالشُّرد الخالدات، فقد سبقه (كعب) بوصف شعر والده زُهير بـ.. "بقين بقا الرحي في الحجر الأصم". - مع عدم البناء على المثل/ كل فتاة بأبيها معجبة -

لأنه شاعر(*) رضي الله عنه من الفحول.. ولا يُثني إلا على من يستحق الثناء.

- (*) قال ابن سلام - مبالغاً: لا يضبط الشعر إلا أهله -

الأثير^(١) .. وقعه ..

١ / بأبي من ودته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
.. وافترقنا حولاً، فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعاً
أودُّ أحداث "ذاتك": - كما قيل - إن هذين البيتين أوّل ما نظمت!
هل داعيهما: أوّل "حب" خلب جنانك^(٢)، فأجلى به عن موهبتك -
الشعرية - بعض غشاوة.. أو قليل "حياء" كان يسترها؟
.. ربما أستنتج "جوابك" من سيرتك.. أو بداياتك الشعرية.. كا:
أيّا خلد الله ورد الخلدود
و...:

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة، فأرت ليالي أربعاً
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين، في وقت معا
ثم.. أحوّر عن هذا.. إلى:
أحببت.. فنظمت!
أم أعجبت.. بمن لاقيت!؟

(١) قال د. عبد العزيز الدسوقي: إن في شعر المتنبي شحنات حارة متأججة، وفيها إشعاع
فني يحرك الوجدان، ويثير العقل من أين يجيء هذا الإشعاع الفني؟ إنه ينبعث في
الأساس من سحر الشخصية وجاذبيتها وبهذا الإشعاع الفني يمكن أن نصف كثيراً من
مشاهد قصائده، ونذكر أسرارها الفنية.

(٢) .. كما أوضحت بعد:

ولكن حباً خامر القلب في (الصبا) يزيد على مرّ الزمان ويشتدُّ

أم هدف - لم يبن لنا - وددت إيصاله.. فنسجت ذينك البيتين!
مهما يكن "الجواب" فهو - وهذان البيتان - إمارة لأوليات "موهبتك"
في الشعر.. لتكن:

أبا الطيب.. (الشاعر).. المتنبئ.. الذي: "ملاً الدنيا وشغل أهلها!".
٢ / يكاد أبو الطيب "الخبير بالحياة" يقرأ زماننا - الذي ماثل زمانه -
فيلقي علينا من قوارعه أو (حِكْمُهُ).. مثل:

إنّا لفى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
الله.. يا أبا الطيب، من أكثر!، ألا تفاءلت وقلت من بعض الناس..، أو
على الأقل من شطر الناس..،

لا أيها المجيد - في النظم - أظن أنه خانك التشاؤم بهذه المرة،^(١) فترك
القبيح من سمات المسلم وهو الذي - أظنك - لم تعنه بهذا الإنشاء!^(٢)
ولا أظن أنك ستجيبني:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
لأنني كما أسلفت أرى ترك القبيح من سمات المسلم السامي. بمثل هذه

(١) .. كما خانك من قبل.. - مثلاً:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس، روى رحمه غير راحم
- وهذه.. مخالفة شرعاً.. ولكن سأل الله -

(٢) وروى البخاري رضي الله عنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول: "إن خياركم أحسنكم أخلاقاً".

"الخصال" (١).

.. إذا لم أعب قولاً صحيحاً، بل قللت من صدق ما لا يحتمل شطر الصحة - إلا ما شاء الله -.

ثم هذه المشأمة، رجوت أن لا أراها حكمة تُنطق بين دفتي ديوانك،..
إذ المرء مُعلّق - بعد الرجاء بالله والتوكل عليه - بحبال الآمال والأمانى
التي تُضيء ولو بصيصاً من النور في طريق الحياة - الطويل -..

٣/ نحن من ضايق الزمان له في - كَ وخائنه قُربك الأيام
لا أعتقد أيها "العبقري" وأنت تُفخم ذاتك بـ - نحن - ثم نقلب إلى
ممدوحك بـ ضايق الزمان فيه.. وخانت الأيام بقربه، أنك سوف تسلب
من تقويمنا لك أو لممدوحك!

فهذا الذي ضايق الزمان فيه/ أمضيت في رحابه "تسع سنين" (٢) أي ما
يقارب "عقداً" من عمرك، وكان هذا العقد - مرحلة الأربعينات من
العهد المضفرّ منك بالدرر- (٣)

(١) قال العابد عبد الله بن المبارك - رحمه الله -:

وإن امرؤ لا يوتجى الناس عفوهُ ولا يأمنوا منه الأذى للئيم
- .. ويرى ماركوس أوريليوس: أن أقوى ضروب الانتقام هو: ألا تكون صورة من عدوك.
(٢) لدى سيف الدولة.

(٣) .. حتى قيل (أن ما نظمه خلالها في مدح سيف الدولة يبلغ ثلث شعره).

-جواهر المتنبى ص ١٦/ عبد الله خياط-

ولا أريد أن أسهب وأقول: أنه كان بالإمكان أن تتم عيشك وأنت في رحابه^(١).. لولا الحساد، أو لنقل (المنافسون)^(٢) - لا مضايقة الزمان.. أو الأيام كما قلت..

الذين ما انفكوا للتفريق بينكما.. وليس الزمان^(٣) أو خيانة الأيام.. كما حاولت إيهامنا بأنهن السبب.. بهذه المضايقة - أو الخيانة - وصداه داخلك.. - فقط - أن/

وقت يضيع، وعمر ليت مُدَّتَه في غير أَمَتِه... من سالف الأمم
إِذَا...!...

٤ / وما أنا مِمَّنْ يدَّعي الشوق قلبه ويحتجّ في ترك الزيارة بالشغل
لا أكذب.. إني حين أقرأ لك.. مثل ذلك أن أردد - في صداي - أنك
استطلعت إحساسي الداخلي، وداخلت وجداني كحالكَ في هذا
(البيت) ..لأنني أحتجّ مثلك.. - ليس دائماً - بترك الزيارة بالشغل^(٤)!

(١) ..ألم تقل - في ضيافته -:

قِيَدَتِ نَفْسِي فِي ذِرَاكِ مَحَبَّةٍ وَمِنْ وَجَدِ الْإِحْسَانَ قِيَدًا تَقِيْدًا
- وقد قيل (في معنى عجز البيت): الإنسان أسير الإحسان -
(٢) ..أو خُيِّلَ إِلَيْكَ - من الغرور - ..أنهم حساد! - انظر ما تقدم ص ١١٩ -
..يُعَلِّله قولك:

بَدَى قَضَتِ الْأَيَّامَ بَيْنَ بَعْضِهَا مَصَائِبَ قَوْمٍ، عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
(٣) والذي - على حد تعبير أحد أقرانك (أبو تمام) - ب/ هو الزمان لا يُصْغِي إِلَى مَنْ يِعَاتِبُهُ!!
(٤) .. ربما لظاهر "العلة" هذه - المنطبقة على البعض - :

جزاء كل قريب منكم.. ملل وحظّ كل محبّ منكم.. ضغن

و.. ما يدريك -أيها القارئ للذات- أنني (أحتجّ في ترك الزيارة بالشغل)
علم الله أنك لو خالطتني.. لقلت أن هذا الخليط فاضحي أو مفشي ما
كتمت بسري-(^١)

٥ / وما .. قتل الأحرار كالعفو عنهم
أشهد أنك أصبت كبدا الحقيقة،..

فهل يقتل "الحر" غير العفو عنه، كفاك أيها - الخبير- مساً لمواقع في
القلوب...، تفيض حين تقرأ مثل هذا الزخم.. أن لا تكمل فتقتل
الإحساس، يا أيها "الحساس" بما تتناوله من قول على واقع ذوي النفوس
الكبيرة بمعناها(^٢) - لا بمبناها-.

(^١) بل كطبيب (علم النفس) يقرأها من الخارج.

قال الأستاذ شرارة - ت ١٩٨٨ م - عن هذه الخاصة:

(.. هذه البراعة في وصف الانطباعات الخاصة التي جعلت أبا الطيب يفوق معظم الشعراء
في تاريخ العالم على وجه التقريب لا في دنيا العرب وحدها.. مهما عيب عليه من
هفوات، أو عُذّ له من سقطات).

- .. ومع ما تقدم (ص ٩٧ هامش ٢) نردد قول ابن سلام (ما أرادت أن تطعن في شعر
شاعر إلا وجدت) وانظر هامش (٢) ص ٤٧ -

(^٢) قال عنهم - أو فيهم - سليمان العيسى:

الصادقون ينامي في مدينتنا	في جيلنا يعضغون اليأس والألم
الصادقون وهم في اليأس قافلتني	وإن حصدت السراب المر والسأما
بني على شرفات الغيب أغنية	تبقى وتذهب في جفن المدى حلما

٦/ خلقتُ ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شبيبي موجه القلب باكياً
 إذاً ماذا نقول - جواباً - لأبي العتاهية حين يلذعنا.. ب:
 ألا ليت الشباب يعود يوماً لأخبره بما فعل المشيب^(١)
 فهل صدّق (هو) بما يَألم من شيبته، ووهن جسده، وضعف قواه...!، أم:
 أنت الصادق - أيها الأليف بيومك وساعتك على ماهي عليه -.
 إن كان "أبو العتاهية" صدّق قوله.. كل من شاب فعيب عليه سنه
 ليخضب شعره،^(٢) فقد صدّقك مجرى حياتك.^(٣)

^(١) وأقلّ ما فعله "المشيب".. ما قاله أبو تمام:
 يا نسيب الثغام^(*).. ذنبك أبقى حسناتي عند الغواني عيوباً
^(*) نسيب الثغام: الشعر الأبيض.
 وسبقه عمر بن أبي ربيعة - تحقيقاً -:
 رأيين (الغواني) الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالحدود النواظر
^(٢) قال (ابن الرومي) - بتفنن المعتذر عن الخضاب -:
 لم أخضّب الشيب للغواني لأبتغي عندها وداداً
 لكن خضابي على شباي لبست من بعده حدادا
 ثم انسجامة.. مع مراد ذاته التي دعتة للخضاب وقالت: (.. إن دفن المعيب .. غير معيب).
 بل.. وهذا من أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.. بقوله:
 (غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد) - الحديث -
^(٣) برغم زعمك - بإحدى المراتي -
 وإذا الشيب قال أفّ فما ملّ الحياة..، ولكن الشيب ملا
 ..آلة العيش صحة وشباب فإذا وليا عن المرء... ولا
 -...

إذ فارقت حلب الشهباء بعد سنين - لا أظن أنك عشت أجمل منها^(١) -
.. ومع هذا لم تشتق.. ولم تندم.. ولم تزر سراً.. ولا حاككتك نفسك
لذلك^(٢)....

والبيت الثاني.. بُني من قوله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون بهما كثير من الناس:
الصحة والفراغ" - الحديث -

أو الاعتراف الواضح.. في رثاء أم سيف الدولة :-
ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصال
وفي المثل الأمريكي - ما يعزّز ذلك :-
"مهما ثقل العبء الذي يحمله المرء، تظل الحياة دائماً حلوة".

^(١) قال الباحث (محمد قجة) - رئيس جمعية العاديات الأثرية بحلب:-
(..ويعد مكوث المتني في حلب من أعظم فترات حياته وأكثرها ازدهاراً، وقد كتب فيها
أجمل قصائده على الإطلاق وأصدقها).

ثم.. أضاف: (عرفت حياة الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتني ثلاث مراحل في ثلاث
مدن هي الكوفة، حلب والقاهرة، إلا أن مرحلته الحلبية تعتبر أهم مرحلة في حياته
على الصعيدين الشعري والشخصي وهي زهاء تسع سنوات -وقد دخلها بعد وفاة
زوجته وهو في الرابع والثلاثين من عمره -..)

^(٢) ..ودليلي على ذلك.. - أو الأفصح - قول "لاوترزو":

إذا شئت معرفة ما يشغل بال المرء يكفيك أن تُصغي إلى حديثه!

..فهل أستثني لك - من هذا - قولك في رثائك (خوله).. لأميرك:

يظن فؤادي غير ملتهب وأن دمع عيوني غير منسكب
..بلى، وحرمة من كانت مراتعه لحرمة المجد والقصائد والأدب

وفارقت - من قبل - الكوفة والصبا... وجمال (عهده) الذي بها،
وجلال موقعه في الفؤاد، ولم يتألم سوى قول "للمشاعر لديك" عنها:
لك يا منازل في القلوب منازلٌ
- فقط...! - .. ثم نواح الذكرى:

ذكرى الصبا ومراتع الآرام جلبت همامي قبل وقت همامي
نعم هكذا خلقت ألوفاً...، لكن الحقيقة تُكذب حتى واقع المرء:
أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهم .. وأين من المشتاق عنقاء مُغرَّب^(١)
والحقيقة - هذه - من (الفِطْرة)، وليس بيدك أيها المبدع تغيير سَلَمِها
- رغم تكابرِك عليها... -

مغان الصِّبا تهوي عليها المعاولُ أضاق الفضاء!... حتى تُراعِ الأوائل^(٢)
مغان.. هي التاريخ والعمر.. والهوى آفي غمضةٍ تقضي عليها المعاولُ
!!.....

٧ / غني عن الأوطان لا يستخفني إلى بلد سافرت عنه إياب
وكان من الأولى أن تقول (لا يُحنني) .. وليس لا يستخفني؟!
إذ أن الحنين^(٣) هو الذي يُعيد^(٤) .. لا الاستخفاف.

(١) في عجز البيت: أخذاً من المثل العربي: (حلّقت به عنقاء*) مُغرَب).. إذا ما أخبروا
عن هلاك شيء وبطلانه.

- (*) قال الجاحظ العنقاء: طائر خرافي يُسمع به ولا يرى -

(٢) عبد العزيز المسلّم.

(٣) قال صاحب ليلي "الجنون":

قال - المولع - (ابن زريق البغدادي) ..

بالله يا منزل الكرخ الذي درست
أثاره.. وعفت مذ بنت أربعه
هل الزمان معيّد فيك لذتنا
أم الليالي التي أمضته.. تُرجعه
.. لا أكذب الله ثوب العذر منخرق
عني بفرقه..، لكني أرقعه
... إلخ.

٨ / يموت را عي الضأن في جهله ميتة "جالينوس" في طبه
إذاً: هو "الموت" الذي /.. - ما عنه ملاذ ومهرب !..^(١)
ولا يفرق مذاقه بين من كلّ العمر، وأمضى السنين... وبدد زهرة أيامه في العلم
والطلب والتحصيل،^(٢) وبين من لا يميّز بين الألف والقائم المستقيم^(٣)،

....

وأعظم ما يكون الشوق يوماً
إذا نأت الديار عن الديار
^(٤) قال أبو العلاء المعري:

فيا برق.. ليس "الكرخ" داري، وإنما
رماني إليه الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء "المعرة" قطرة
تغيث بها ظمآن ليس بسال
^(١) كما يقول (محمد بن عثيمين).

^(٢) و.. كما قلت..

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
يخلو من هم.. أخلاهم من الفطن !!
^(٣) ربما لأنه.. كما يعتذر له حمد الحجي:
نظر إلى الكون نظرة عابر
يمرّ على الأشياء دون عناء
قال "سعد البواردي":

يحيا العالم ثم يرحل، وبقدر ما ورث في حياته من علم يُشكر ويحيا المفكر ثم يرحل،
-...

إلا أن - الموت الذي يجتمع به الجاهل والعالم - مرحلة التقاء فقط...، ثم بعد الموت يفترقان كما كانا...، قال تعالى - مذكراً أو مُمايزاً -:

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(١)!

فالعالم بعد موته "شهادة التاريخ" له ولعلمه^(٢)، وما خلف كافية لإنصافه.. من ذلك الجاهل الذي عاش ومات ولم يدر به سوى أقرب ذويه، أو بعض مُحبيّه..!

وقد مات أقوامٌ لا عداد لهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا^(٣)

-...

وبقدر ما أعطى لغيره من زادٍ يُذكر.. لا شيء يبقى مع رحلة القبر إلا مرحلة العلم والفكر.. والذكر/ حتى جاء صالحاً ومُصلحاً.

^(١) سورة الزمر، آية ٩.

^(٢) هذا في الدنيا إن كان من أهلها فقط، - فله ما رمى منها، من جوائز وتمجيد.. وخلود!

..أما هناك في يوم لا ينفع فيه مالٌ.. ولا بنون - ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ سورة الفرقان، آية ٢٣.

أما إن كان مؤمناً -وعابداً* - .. بانياً علمه على ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فله.. من وعده سبحانه.. ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ سورة طه، الآية ١١٢.

- (*) إذ لا يكفي العلم.. ولا حتى العمل بلا إيمان! وقد مثل له سبحانه وتعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ سورة النور، آية ٣٩ -

^(٣) أحمد شوقي..، والقائل مُستثيراً الهمم..

-...

هنا "الإنصاف".. وليس الموت الذي يُعدّ - فقط - نقطة إلتقاء ثانية بعد الولادة بين العالم.. والجاهل.

٩ / والهمُّ يحترم الجسيم نحافةً ويُشيبُ ناصية الصبي ويهرمُ
أوآ.. ما دون ذلك مُلغى يا شاعرنا..!؟

كيف لك أنت و(الهمّ) هذا من الغم الذي يُطبق على القلب فلا يُريه إلا
ما يكابده الإنسان.. فإنه - أي الهم - يُعلّ من حملة، ويُعيي^(١) من نقله،
ويُحلّ البياض في المقلة..^(٢)

أوآ.. تظن يا أبا الطيب أنك وحدك المهموم..؟ لا و(الذي خلقك من
تراب ثم سوّاك رجلا..) فإن من جرّب الحياة وخبرها.. / أمسى والمهموم
تبيّض شعره، وتظلم نوره، وتكدّر صفوه^(٣)، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا
الإنسان في كبد﴾^(٤).

إذا ما مُت.. ونفق الحمار أينك فرق... والحمار ١١
^(١) يتعب.

^(٢) قال تعالى في يعقوب على فراق يوسف عليهم السلام: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن
فهو كظيم﴾ سورة يوسف، آية ٨٤.

^(٣) قال (ابن الرومي):

هم الناس والدنيا، ولا بد من قلدى يلم بعين أو يكدّر مشربا
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي المهـ لذب في الدنيا، ولست المهذبـ
^(٤) سورة البلد، آية ٤.

....

وهمٌ يختلف عن (همّ)..

فمن همّه كبير كبرت ذاته وتوسّعت مداركه، حتى يظن أن العمر - مع تطاوله - قد لا يفي لتحقيق المنى، كيف لا..؟، قال أحد الصالحين - ذوي "النفوس الكبيرة" و"الهمم العالية".. -: (إن الأعمال أكثر من الأوقات)^(١).

فكيف تكثر هذه الأعمال..!، وقد شكى الناس اليوم من الفراغ.. وقلة الأعمال!^(٢)

إنما كثرة الأعمال لديه لعظم الهمة، وجسامة الأمانة - العمل الذي زوى له وعليه نفسه -، بل وآل عليها ذلك (فرضاً):

....

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ سورة الإنشقاق، آية ٦. والكدح: أشد أنواع الشقاء.

(١) يُذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان إذا دخل "الخلاء" قال لإحدى تلاميذه: اقرأ وارفع صوتك - استثماراً للوقت.. حتى هناك! -

قال الحسن البصري رحمه الله - من قبل -:

أدركت أقواماً كان أحدهم أشحُّ على عمره منه على درهمه!

وكان علامة الشام (جمال الدين القاسمي) رحمه الله يقول - مخاطباً من يقعدون على المقاهي.. تسلياً -: آه يا ليت الأوقات تشتري، فأشتري أوقاتكم منكم.

(٢) قال اليونان (أغلى النفقات إضاعة الوقت).

قال ابن هبيرة:

والوقت أنفس ما عنت بحفظه وأراه أهون ما عليك يضيغُ

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
هنا ينطبق على مثله انحلال الجسم وشيئه.. في عهد الصبا.

١٠ / كد عواك: كلّ يدعي صحة العقل (ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل^(١))!
- فعلاً.. كما قال مجنون ليلي: - وإن كان يقصدُ عاذله والحُسْد،..
كما قال مجنون ليلي .. / وذو الجهل يا (ليلى) يجهل -

هذه والله البلوى: من ذا الذي يدري لما فيه من جهل! ^(٢)

إذ أن هذا (الجهل) هو المُضني: الجهل المركّب..

عزيزي أيها الحكيم: إن (الجهل المركّب) الذي عبّر عن صاحبه بـ:
"صحة العقل" أفرز من مثله بزماننا كثيراً، بل من هذا الكثير لم يدّع

(١) .. ليدكرنا - هذا العجز. بقول الشافعي - أو "الخليل بن أحمد" - رحمهم الله: الرجال

أربعة.. ومنهم: رجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري.. فذاك غافل فنبّهوه..،

.. حتى إن شاعرنا أغرب.. في التعريف.. عنه:

مَنْ جاهل بي.. وهو يجهل جهلة ويجهل علمي أنه بي "جاهل"

ربما هذا.. من معنى نظم الخليل بن أحمد في قوله - من باب العتب -:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتك

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرأً عرف قدر نفسه".

وأجاب حكيم - حين سُئل: ما أفضل العقل - بـ/ معرفة المرء بنفسه.

- وسُئل سقراط: كيف تبوّأت مكانتك؟ فأجاب:

"ربما لأنني الشخص الوحيد الذي يعرف أنه لا يعرف!".

صحّة العقل .. - فقط -، بل قلب علينا ظهرَ المِحنِ وأوسمنا بالتخلف،
وهذا لم؟ لأنّا لم نتَّبِعْ طريقته، ونتفتّح على العالم ونأخذ منه - أي هذا
العالم - سيّئة وحسنة، كما كان يَعْلَمُه - أي/ صاحب الجهل المركّب -
أُستاذُه^(١) عميد الأدب^(٢)!.

فهل استمع إلى تلميذ أبي نواس:
فقل لمن يدّعي في العلم فلسفة .. حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياء
لذا اسمح لي أن أقول لك: إنّنا أولى بالتمثّل بهذا البيت "الخالد" .. والذي
خلّده حقيقته الظاهرة - بالأخص - بهذا العصر!!
١١/ ولم تزل قلة الإِ نصاف قاطعةً بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم
أتقوها صادقاً..؟!

والذي فلق الحب والنوى، وأخرج المرعى، أن ليس من سببٍ يُنفّر
القلوب -أو يشتها - .. ويشزرها عن بعضها كمثّل "قلة الإنصاف"،

(١) .. فلا نستعجب - أو نستكثر - .. حين وخز أحد المُستشرقين - ما ولّفت جُعبت
هذا "...."/ أن لم يزد على القول (هذه بضاعتنا رُدّت إلينا).

- بالمناسبة - حين سئل الشاعر إبراهيم العريض: أن طه حسين لم يُعطِ المتنبي حقه.. من البحث؟
أجاب: بأن طه حسين لا يعرف شيئاً عن المتنبي، بدليل أنه يعتبر إحدى روائع المتنبي - طوى
الجزيرة حتى جاءني خبرٌ - شطحة من شطحات الشباب!! (المجلة العربية عدد ٢٦١)
(٢) لكن.. أي أدب!، يجب أن نحدد، أو نقول - كما قيل عنه - : (سفير الأدب

الفرنسي.. في مصر).

وعدم التقدير، وإعطاء كل ذي حق حقه..^(١)

.. فما معنى/ أن تتشع من المروءة والأخلاق و"العُلا" ما يجبل الغريب (الأريب) على وزنك بمثقالهن،.. ثم لا تجد ذلك - التقدير - من ذوي رحمك - أولى الناس بإنصافك -!.. ف:

"ظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضة على القلب من وقع السهام المهند"^(٢) وسبحان الله أن ليس سحجة ذلك (قلة الإنصاف) في الإنسان لأخيه الإنسان -فحسب-.. بل "إن العود في أرضه نوعٌ من الخشب..!"^(٣).
.. والله أعلم: أن هذا من أسباب التغرّب والفراق، أو البعد عمّن لا يثمن الذات..، قال قبلك أبو العتاهية:

أخوك الذي من نفسه لك منصف^(٤) إذا المرء لم يُنصفك^(٥) فليس أخاك
و.. كأن المثل القائل: "من عرفك صغيراً.. حقرك كبيراً".. ولده قلة -أو عدم -
"الإنصاف"، وكثرة الاستخفاف، وعدم الالتفاف على من يستحق..

(١) قال الأفوه الأودي:

.. ولم أرَ في الخطوب أشدَّ هولاً وأصعب من معاداة الرجال
(٢) من معلقة "طرفة بن العبد".

(٣) - قال أبو تمام:

لولا احتراق النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب ريح العود.. -
(٤) .. قال (د. أحمد أبو شادي):

وإذا الأخوة أنصفت، لم يجزئ بين الخوارج من يدس إخاء
(٥) .. وفي المثل -الفارسي- "لم يُنصفك.. من أحوجك إلى الشكوى"

وربما - من هذا - ما جعلك أيها الفذّ تؤلّف هذا البيت:

.. فلا عبرت بي ساعة لا تُعزّني .. ولا صحبتني مُهجةٌ تقبل الظلما^(١)
وهكذا أبدأ.. أنت!!

١٢ / إذا ساء فعل المرء ساءت وصدق ما يعتاده.. من توهم
وهذا الذي - ربما - .. يجعل أهل "المعاصي" - أعاذنا الله - يرون صور
معاصيهم في الغير، فيتهمون.. دون وعي منهم،
لكنها حقيقة تكشف عن أسرار "الذات" أو تشفّها.. وتبيّن عن مكنون
يعجز إخفاء صده الداخلي^(٢) من ابتلي بشيء - نسأل الله العافية -، وهذا
دليل على إدراك "ملكك" بالنفس البشرية، كي تُخالجها، ولهذا قيل في
المثل "إن السارق يسرق الناس"..
- ربما - : لأنه يراهم بطبعه.. لا غير!.

ثم:

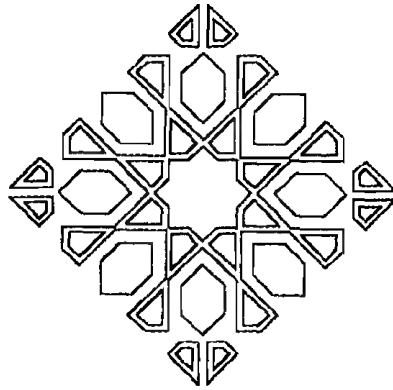
.. ولو أردت العود - للورود من ذا المعين - لرددت "باستطراد"..
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنيّا إلى أرواحنا سبلا
أو/ ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

(١) .. وهذا.. صورة من قول عنزة:

لا تسقني ماء الحياة بدّلة بل فاسقني بالعزّ كأس الخنظل
(٢) قال زهير بن أبي سلمى - في حِكْمه -:
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

أو/ ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
أو/ ومن العداوة ما ينالك نفعه
أو/ ستألف فقدان الذي أنت فاقده
أو/ من يهن يسهل الهوان عليه
أو/ ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله
أو .. أو .. إلخ...

عدواً له ما من صداقته .. بدُّ
.. ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
كإلفك فقدان الذي أنت واجد
ما تجرح بميت إيـلام
وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم



على أثر.. نفيسه :

هل أقامك الفكر بين العجز والتعب!...، لأنها:

تصفو الحياة لغافل أو جاهل
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
عما مضى منها وما يتوقع
ويسومها طلب المحال فتطمع
أو أنك عرفت أن:

أفاضل الناس أغراض لدى الزمن
فتيقنت بأن:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
هذا مع أنه - كما تعلم -:

لا يُدرك المجد إلا سيّد فطنٌ
إذ..

لولا المشقة ساد الناس كلهم
أو خوفاً من :

تريدين^(٢) إدراك المعالي رخيصة
أم ترى.. أن/

لا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله
واقتنعت بما آلت إليه.. بعدما:

(١) قال بعض البلغاء: (أحسن المكارم: عفو المقتدر، وجود المفتقر).

(٢) مخاطباً "مهجته".

لبست صروف الدهر أحشن ملبس
ثم...:

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه
لأنك ترى:

من كان فوق محل الشمس موضعه
هكذا..

وإذا كانت النفوس كباراً
ف:

بلغت من العليا كل مكان
وبهذا:

كل ما لم يكن من الصعب في
لأن:

ما الخوف إلا ما تخوفه الفتى
و.. بدون ذلك، - تعزية - ..

ومن تفكر في الدنيا ومهجته
أو قد يكون:

إذا عظم المطلوب قل المساعد
.....

فهل بقي شيء ..؟ ، نعم، هذا الاعتراف "الأخير"^(١):

(١) .. وحقّ للمُتلقّي .. لهذا الاعتراف .. - الآتي بعد فوات أوانه - أن يستشهد دون..

أن يعينك - بقول أحمد شوقي:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف،.. ليس المجد للقلم
.....

هذا شاعرنا "العربي" الذي / خطا فوهة الفلاة بل دليل، وسار بين الهجير
بلا لثام، بعزم تسهل بقوّته المصاعب^(١):

قد هوّن الصبر عندي كلّ نازلةٍ ولّين العزم حدّ المركب الحشن
ف.. لا عجب أن أعجب به، وأمضي إثر نبراس نظمه بشغفٍ..
- رياضُ الشعر.. لا تُعطيك زهراً إذا لم تُسقّ من نهر الشعور!! -
.. قد لا أجد كل ما يُخالجني.. حينما أترنّم بإحدى قصائده^(٢).

وبزعمي.. أصرّح بـ: لم يبقَ لي مجال للتعبير عن ذاتي إلا وجهر به
عني^(٣).. حتى كِدْتُ أن أقول - والأسف مقدّم - أنه لم يسبقني إلى هذا
(العالم)^(٤) بذاته، بل وبشعره^(٥)...، ف.. "أ:

وما ضيقنا بمقدمك المفدى ولكن.. جئت في الزمن.. الأخير..
(١) وكذا قوله:

أطاعن خيلاً.. من فوارسها الدهر وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر
(٢) و.. أكاد - حينها - أن أستشهد بقول ابن عبد الله عن شعر "الأعشى":
(يخيّل لك إذا أنشدته.. أن آخر يُنشد معك!)

(٣) قال الشاعر علي الجارم:
تقرأ للمتنبّي فتحسُّ أنه يُخاطب كل نفس بأسرارها، وكثيراً ما حدّثنا عن خلجات كُنّا
نحس بها ونسمع في النفس ديبها.
(٤) - ف..

يا صاحب القبر.. السلام على من حال دون لقاءه القبر
....

يا شاعراً هزّ الفؤاد بنبضه فتحركت في داخلي الأوتار"
فليعذرني القارئ العزيز على هذا الإطراء...

بحق من اختاره شعره بكيونتي لتكون هذه "النبذة" حاملة عن مخيلتي^(١)
خواطر استنتجتها ونسجتها من سيرته..

ولتعكس - بالمضمون - لمتصفحها / آخر أحلام المتنبّي.. (الإمارة):
يقولون ما أنت في كل بلدة وما تبغي؟ .. ما أبغي جلّ أن يُسمّى
الذي سعى لعل وعسى بتحقيقه يصل إلى (المجد) الذي تغرّب وقطع
الفيافي والقفار ليناله، فكّد خلف الدنيا حتى قتله^(٢).. دون بلوغ مأربه.
...ولسان حاله.. يتمثّل بالحكمة التي أنشأها^(٣):

كما قال أبو زيد المنذر بن حرمة.. في الوليد بن عقبة وقد أسلم على يديه - خزانة
الأدب، ص ٢/١٥٥ -

(٥) قال امرؤ القيس:

أجارتنا: إنا غريان هاننا وكل غريب للغريب نسيبُ
(١) قال أحمد شوقي - يرثي نده (حافظ إبراهيم):

رُتب الشجاعة، في الرجال جلالٌ وأجلُّهن من شجاعة الآراءِ
(٢) -.. روى قتادة قال: لقيني عمران بن حطان فقال يا أعمى احفظ عني هذه الأبيات:

حتى متى تُسقى النفوس بكأسها ريب المنون...، وأنت لاهٍ تترع
أفقد رضىت بأن تعلل بالنى وإلى المنيّة كل يوم تدفع
أحلام نوم أم كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يُخدع

(٣) آخذاً المعنى، من التوجيه الكريم: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتكم الله الجنة
فاسألوه الفردوس الأعلى) - أي ليكن المؤمن مشرباً دائماً إلى السمو.. والعلى.

...

إذا غامرت في شرف مـروم فلا تقنع بما دون النجوم
 قطع الموت في أمرٍ حقير قطع الموت في أمرٍ عظيم
 فمعدرة إلى الله^(١) أولاً، ثم إلى القارئ الكريم / إن لم يجد المرمى أنيس،
 والمرام الذي أصبو إلى إيصاله نفيس^(٢).
 .. وشافعي قول عمر أبو ريشة رحمه الله:

فما نحن أول من بنى وبناءه لم يكمل !
 - والله أعلم.. وأحكم، وصلى الله على خاتم رسله.. وسلم -

دمشق

١٤١٦ / ٧ / ٨ هـ

...=

والمشهور قول عمر بن عبد العزيز - حين سئل عن تقشفه وهو الخليفة - :
 إن لي نفساً تواقة، تآقت إلى الإمارة، فلما نالتها تآقت إلى الخلافة..، وهي تتوق إلى
 الجنة.. فلنعمل لها.

(١) .. الاعتذار من الله: نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ قال عن الذين خالفوا أمره
 يوم "أحد" (اللهم: أعذر إليك مما صنع هؤلاء).. متفق عليه.

وفي الكتاب العظيم قول الحق سبحانه ﴿مَعذرة إلى ربكم..﴾ سورة الأعراف، آية ١٦٤.
 ويأتي بعد.. ذاك، من هنات علّها من النقص البشري الذي لا ينفك عن قيده.. سوى من
 عصم الله، راجياً أن لا يحول ذلك عن قبول المُجمل، قال أمير الشعراء:

رُزقت أسمع ما في الناس من خلق إذا رُزقت التماس العذر في الشئيم
 (٢) قال "لاروشفو كولد":

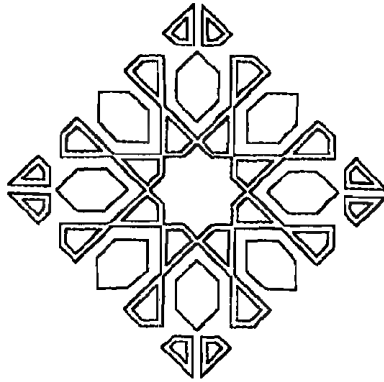
نحن لا نجد أبداً أناساً عاقلين، إلا أولئك الذين يشاطروننا الرأي!
 ولا أعثر - بعدها - على من يقول: اتُخمتنا بشاعرك..، إذ هو / شاعر الدنيا، وشاغل أهلها!!

طلائع المراجع

أو/ منها: "شرح ديوان المتنبي" لأبي العلاء المعري، طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٢م، "التبيان شرح الديوان" لأبي البقاء العكبري (مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٧١م، - انظر: إيضاح ما تقدم ص ١٨ حاشية هامش (١) -، "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" للشيخ ناصيف اليازجي (طبعة دار نظير عبود سنة ١٩٩٥م)، "ديوان المتنبي" عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت طبعة ١٩٨٦م، "ديوان أبي الطيب المتنبي" لأبي الفتح عثمان بن جني (بغداد ١٩٨٨م)، و"شرح مشكل أبيات المتنبي" (سنة ٤٥٨هـ) لابن سيده، و"الواضح في مشكلات شعر المتنبي" لأبي القاسم الأصفهاني، و"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" (سنة ٤٢٩هـ) للثعالبي، و"الوساطة بين المتنبي وخصومه" (سنة ٣٦٦هـ) للقاضي الجرجاني، و"الرسالة الموضحة" (سنة ٣٨٨هـ) للحاقي، و"الكشف عن مساوئ المتنبي" (سنة ٣٨٥هـ) للصاحب بن عباد، و"الإبانة عن سرقات المتنبي" (سنة ٣٥٤هـ) للعميدي، و"الصبح المنبي عن حثية المتنبي" (سنة ١٠٧٢هـ) للبديعي.

..فضلاً عن آتٍ ك: "المتنبي" محمد محمود شاكر، و"أبو الطيب المتنبي" للمستشرق (بلاشير)، و"المتنبي مالى الدنيا وشاغل الناس"، لمحمد

التونجي، و"مع المتنبي" للدكتور طه حسين، و"نظرة إجمالية في حياة المتنبي" لمعروف الرصافي، و"المتنبي بين ناquديه" لمحمد شعيب، و"فن المتنبي بعد ألف عام" لإبراهيم العريض، و"المتنبي يسترد أباه" لمحمد الملاح.. "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام" عبد الوهاب عزام، عبد الله الحيدري "أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين"، سهيل عثمان ومنير كنعان "المحصل الفكري للمتنبي"، محمد كمال حلمي "أبو الطيب المتنبي"، زكي المحاسني "المتنبي"، "جواهر المتنبي" لعبد الله عمر خياط، نورية الشملان "المتنبي الإنسان والشاعر"، عبد العزيز عبد المحسن التويجري "المتنبي" .. وغيرها..



العناوين

- ١ - هذا "البسط" ١
- ٢ - فواصل ٤
- ٣ - لماذا (المتني) ١٠
- ٤ - أبا الطيب .. ، والعبقريه ١٣
- ٥ - فارس الشعر: ١٩
- أ - البيئه ٢١
- ب - الإنسان - المنشأ ٢٣
- ج - المادح - أو .. السيرة ٢٧
- د - الخاتمة ٤٥
- ٦ - الإبداع: ٥٠
- أ - القصيدة ٥٥
- ب - النموذج ٥٧
- ج - الأطلال ٦٠
- د - الفراق ٦٦
- هـ - الغزل ٦٩
- و - الذاتية ٧٩
- ز - ترانيم على مقام (المتني) ٨٦
- ح - الهجاء ٨٨
- ط - الحساد ٩٢
- ي - الحكمة ٩٧
- ٧ - أولوياته ١٠٧
- ٨ - هو .. و "الإمارة" ١١٩
- ٩ - التفات على بعض درره ١٣١
- ١٠ - على أثر .. نفيسه ١٤٩
- ١١ - .. طلائع (المراجع) ١٥٤

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هذا الكتاب

ليس دراسة أدبية لشعر المتنبي ، بل هي تتبع خطوات هذا الشاعر ونهجه في الحياة والمراحل التي مر بها . قام المؤلف بدراسة نفسيته والدخول إلى أعماقه وإبراز ذاته وأحلامه وأمانيه ومجده وما انتهى إليه .

قال عنه ابن رشيق القيرواني
ملاً الدنيا وشغل الناس

وقال صاحب ابن عباد
هذا كالشمس انتشر فأنشدوا شعره

الناشر

ص.ب ١٨٢٩٠ - الرياض ١١٤١٥ - المملكة العربية السعودية
تلفون ٤٧٦٣٤٢١ - فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ - جوال ٥٣١٠٤٧٦٥

مكتبة
التوبة